# تاريخ الدول السرياني

## تأليف ابي الفرج الملطيّ (تابع)

بقلم الاب اسحق ارملة السرياني

### بعد الامين المأمون أخوه

تولّى عشرين سنةً ونصف سنة . وارسل فأحضر الى خراسان هرثمة القائد وأمر بقتله بسبب مخالفته للامين . فسخط اصحاب هرثمة وقصدوا الحمّام وفتكوا بالقاتل فـاغتاظ المأمون وأمر بشنقهم . امّا ناصر الخارجيّ فحشد القيسيّين وزحف بهم يريد التوخيّين المخيّمين عند نهر قويق بحلب وقاتلهم عشرة ايام . فخارت قواهم وارتحلوا رجالًا ونساء الى قنّسرين ودخـل القيسيون والحلبيون ونهبوا خيـامهم الواسعة وهي حافلة بالاموال والبضائع . وهكذا تجرّدوا من اموالهم كما سبقوا فتجرّدوا من ديانتهم وخرجوا عراةً حفاةً .

وبعد هذا وصل الظاهر قائد جيوش المأمون في اربعة آلاف من العجم الى الرقّة وطارد الخوارج وضاعف الضرائب اكثر منهم وأساء الى اهالي سروج والرها . ثم انكر على اصحابه روايتهم فأضمروا ان يفتكوا به . فشعر بذلك ووثب من السور وفرّ الى الرقّة . وأحسّ اصحابه عنـد الصباح فخافوا ان يباغتهم ناصر فانهزموا هم كذلك (١٣٩) ونجـا الرهاويون من الضرائب الباهظة . وشدّ ناصر على العجم اصحاب الظاهر وجعل جنوده يقبضون على خمسين فخمسين وعلى مائة فمائة فينحرونهم نحر الخراف . ثم حمل ناصر وعمر على الرها وشدّا الحصار عليها . فتسلّق الاهالي والعجم سور المدينـة وجعلوا يقاتلونها وصارت النساء ينقلن الحجارة للقتال والمياه لشرب المقاتلين . وانقطع الضعفاء والصغار الى الصلاة . قال البطريرك ديونيسيوس التلمحريّ (٨١٨—٨٤٥) كنت انا واحدًا منهم . فتعطف الربّ الرحيم فأصيب عمر وانهزم الخوارج .

ولما شاهد البغداديون عتوّ الخوارج والمأمون بعيداً عنهم استحضروا عمّه ابرهيم بن المهديّ وملّكوه عليهم . فثار ثائر الحسن قائد جيش المأمون وكان يومئذٍ في الكرخ بسبب فتنة حدثت هناك وهمّ ان يوقع بالبغداديين . اما الظاهر وكان في الرقة فاستمال الخوارج بالعطاء وولّى بعضهم على البلاد فاقام ابرهيم القرشيّ على حرّان . وبينما كان يتنزه يوماً في قصره شاهد ابنيةً حديثة واستفسر العرب عنها فقالوا انها كنائس للنصارى وقد شيدوها في عهدك مما حمل المسلمين على الارتياب في أمرك . فسخط ابرهيم وأصدر الامر بتقويض الكنائس الجديدة . فقوّضوا قبل غروب الشمس مذبح كنيستنا الكبرى في حرّان وكنيسة والدة الله في قوبا وبعض كنيسة مار جرجس وجانباً من كنائس الخلقيدونيين (الملكيين) والنساطرة واليهود . وفي تلك الليلة عينها أرّق ابرهيم وازعجه الله تعالى في منامه ولما اصبح استدعى المسيحيين وأمرهم ان يبنوا ما هُدم فابتنوا في ايّام يسيرة كلّ ما خرب .

ثم رخّص ابرهيم المذكور للحرانيين الصابئة ان يحتفلوا بأسرارهم علانيةً فاطمأنوا وذبحوا ثوراً بحلل ثمينة وتوّجوه بالزهور وعلّقوا جلاجل في قرنيه وطافوا به في الازقة بالاهازيج وآلات الطرب ثم قرّبوه ضحية لآلهتهم . وهذا ابرهيم ولّى عبد العلا على الرها وشدّد على الاهالي بالضرائب . ولما (١٤٠) تظلّم اليه الرهاويون ممّا يختارونه من استباحوا بيوتهم قال لهم: انكم تمتعتم بهذه الارض في عهد الروم يوم كان آباؤنا قانعين في براري فقراء يرعون الجمال ويكابدون برد الشتاء وحرّ الصيف . فالان وقد ملكنا هذه الارض فعلامَ تستصعبون تسليمها الينا ؟ هكذا خرج الرهاويون مكتئبين مأيوسين .

وابتنى الظاهر سوراً ما بين الرقّة والرافقة وتحصن فيه وانقطع الى المطالعة والتفسير والتحدّث مع الفلاسفة .

وفي السنة ١٠٣٠ لليونان (٨١٩ م) ارتحل المأمون من خراسان الى بغداد فانهزم ابرهيم عمّه واختفى واتفق البغداديون مع المأمون . وفي السنة ١٠٣٢ لليونان (٨٢١ م) وجّه المأمون الى خراسان الظاهر ليتولى شؤونها ورقّى ابنه عبدالله وولّاه منصب والده . اما ناصر الخارجي فاستجمع قواه واشترى قلعة

بالس وزحف في جنوده الى نهر هاني بجانب الرقة وفتك بعيسى وبالسوقة اصحابه جميعاً وغزا القرى وسبى اهلها . فوجه اليه المأمون شبيباً القائد الكبير في سبعة آلاف اعجمي من المتازين فالتقوا بناصر وهزموا اصحابه العرب وطفقوا ينهبون حوانيت المساكين يأكلون ويشربون متفاخرين كأنهم تغلبوا على ناصر. غير ان ناصراً اندلف على العجم وكسرهم . وارتحل شبيب ليلاً الى نواحي انطاكية مذعوراً فتتبعه ناصر وقبض على ثلاثة آلاف من العجم تقريباً . وفرّ شبيب مع شرذمة الى بغداد .

ثم توجه ناصر الى قرى نهر الساجور بجانب منبج واختفى هناك مترصداً. ولما خرج الاهالي كلٌّ الى شغله حمل عليهم وبطش بالرجال والنساء . وسارع جمهور من الفلاحين والمساكين الى دير بريم فسار ناصر والقى عليهم النيران وأحرق بعضهم والقى البعض الآخر بانفسهم فسقطوا وتحطموا فانقضّ عليهم وفلق رؤوسهم وحملها الى سروج . ولما بلغ المأمون ذلك انفذ عبدالله (١٤١١) ابن الطاهر في عشرين الفاً فوصل الى بالس وحصرها حصاراً عنيفاً وثغر سورها ودخل فقبض على الخوارج اصحاب ناصر واوثقهم بالسلاسل وأرسلهم الى بغداد . وكان ناصر وقتئذٍ في أطراف سروج يفتك بالنصارى والعجم معاً.

وفي السنة ١١٣٣ لليونان ( ٨٢٢ م ) استفحل امر لاون ملك الروم وفتك بعدد غفير من الأعيان ونوى الروم ان يقتلوه وينادون بميخائيل قائد الجيوش ملكاً فشعر لاون وارسل فقبض على ميخائيل وأمر ان يصلبه يوم جمعة الآلام العظيمة . غير ان امرأته توسلت اليه ان يُعرض عن قتله في ذلك اليوم . على ان ميخائيل وجّه يقول للاقطاب انقذوني والّا اذعتُ انكم شركائي في المكيدة . فلم يَرَوا الا ان يباغتوا الملك وهو يصلي في المذبح فشدّوا عليه وفتكوا به وانقلبوا فأخرجوا ميخائيل وتوّجوه ملكاً .

وفي السنة الرابعة للملك ميخائيل توفيت تقلا امرأته فبعث فأخرج من الدير حفيدة قسطنطين الملك وتزوّجها وولدت له ابناً . فحملتها النخوة والغيرة وهي حفيدة ايريني الملكة واستفظعت تربية ابن والده متسلسل من نسل يهودي فاحتالت وقتلت الطفل . على ان جدّ ميخائيل الملك كان يهودياً ثم تنصّر واعتمد.

وفي تلك الاثناء أرسل المأمون فاستدعى توما الذي ادّعى انه ابن الملك قسطنطين ووجّهه في جيش الى قسطنطينية فانتهى اليها وظلّ يحاصرها ستة اشهر . فتضايق ميخائيل الملك وعاهد الأسرى العرب بارجاعهم الى وطنهم ان قاتلوا توما . عند ذلك اتفق الروم والعرب معاً ونازلوا اصحاب توما وهزموه الى احدى القلاع وتتبعوه حتى قبضوا عليه وقطعوا يديه ورجليه وعلقوه في رمح . اما ميخائيل فقد نكث المعاهدة ولم يطلق الأسرى العرب .

وفي تشرين السنة ١١٣٥ لليونان ( ٨٢٤م ) حاصر ابن الظاهر مدينة الكيسوم واقام ابراجاً يطرحون منها الحجار يزن كلّ حجر حمل حمار . وكان للكيسوم وشورا خمسة اسوار . ثم أمر ناصر النساء المسيحيات ان ينتقلن الى السور ( ١٤٢ ) في اطفالهنّ ويبكين ويتوسّلن ان لا يُرجمن بالحجار . فتعطف ابن الظاهر ونهى عن القاء الحجار فمن المدينة والاقتصار على ضرب السور لا غير . وحين ذاك فتح ناصر باب المدينة وبعث بنيه الثلاثة في مائتي حمل سميذ وثلاثمائة حمل شعير وخمسمائة خروف وعشرة براذين وعشرة عبيد وثلاث سراري وثلاثة خصيان الى ابن الظاهر مصرّحاً له بانه يتوجّه اليه وقت الغداة . فأمر ابن الظاهر ان يذهب الفتيان الى اهاليهم ليطمئن بالهم . ثم اقبل ناصر وترجّل عن بُعد ثم وصل الى ابن الظاهر وسجد له وقبّل رجله ويده . ونزل ابن الظاهر عن حصانه وجلسا كلاهما يتحدثان سرًّا . وبعد هذا امر ابن الظاهر ناصرًا ان ينهض ويدخل المدينة وقرّر ناصر ان يواجه ابن الظاهر في الرقة بعد عشرين يوماً . فصدّقه ابن الظاهر لسلامة طويّته وسار الى سميساط مستصحباً منصور بن ناصر وقبض هناك على الخارجيّ . اما ناصر فاشتغل ببناء السور وترميمه ثم ارسل الى ابن الظاهر يقول : اني مستعد لمناوشتك . اما ابني منصور فلا تقتصر على حبسه في بغداد بل اشوه بالنار وكحّله .

حينئذٍ زحف ابن الظاهر الى الكيسوم وشدّد الحصار عليها ونهى ناصر الاهالي عن البكاء على القتلى . ولما دارت رحى الحرب وانثلم السور الخارجي أصعد ناصر النساء النصرانيات ثانية الى السور حاملات اطفالهنّ ينتحبن . فأشفق عليهن ابن الظاهر واوقف الحرب . واشتغل الجند ببناء البيوت لسكناهم

في الشتاء . وتفاقم الجوع في المدينة حتى بيع رأس الحمار بعشرة دراهم . فتضايق ناصر وخرج وحده يريد ابن الظاهر فرحله ابن الظاهر مع اصحابه الى بغداد راكبين البغال . وانتهى امر الخوارج في شهر اذار سنة ١١٣٦ لليونان ( ٨٢٥ م ).

وفي هذه السنة ركب السفن زهاء ثلاثين الفاً من اهالي البصرة يريدون بلد البحرين لان اهاليه تعودوا سلب السفن القادمة (١٤٣ ) من الهند والصين والعجم . غير انهم ما كادوا يصلون حتى غرقوا في اعماق الماء لجهلهم المضايق . وخرج اهالي البحرين في قواربهم واغرقوا جميع اولئك البصريين .

وطرح المأمون يومئذٍ في السجن اربعة زعماء قرشيين اضمروا الانتقاض عليه . فأسرّ اولئك الزعماء الى بعض الناس بالقاء النيران في سوق الكرخ والفتك بالخليفة عندما يخرج ليشاهد الحريق . وما ان اطلع الخليفة على المكيدة حتى ارسل في قتل اولئك القرشيين ليلاً وتعليق جثثهم عند الصباح على الاخشاب . وقبض المأمون كذلك على ابرهيم عمه وعفا عنه احتراماً لشيخوخته . وكان ابرهيم قد تلقن الضرب على العود وكان يبتاع فتياناً وفتيات ويبيعهم ويتعيش .

وظهر في تلك الفتن في مصر ساري وجاوري الخارجيان وجمعا ذعباً كالحجارة . وعلى اثر وفاتهما تقلّد عُبَيْد بن ساري ولاية دمياط والناحية الجنوبية وتولى احمد بن جاوري الناحية الشمالية . وفي السنة ١١٣٧ لليونان ( ٨٢٦ م ) وصل ابن الظاهر الى العريش وخرج الى لقائه احمد المذكور وطلب الأمان وصيانة اموال ابيه جاوري . وكان جاوري عندما حضرته الوفاة يقول : اني اخجل من الارض بسبب ما اتركه فيها من الذهب الوافر . اما عُبيد فانتفض على ابن الظاهر لان جيشه كان ثمانين الفاً . فزحف ابن الظاهر الى الفسطاط في نيسان وحاصرها ومنع دخول المـيرة اليها برّاً وبحراً . فلم يَرَ عُبيد الا ان يطلب الأمان حرصاً على حياته وعلى امواله وقصد ابن الظاهر وتصافيا واكلا وشربا معاً .

وفي السنة ١١٣٨ لليونان ( ٨٢٧ م ) اغار ابن الظاهر على الاسكندرية وكان الاندلسيّون قد احتلوها وابعدوا النصارى واليهود عن بيوتهم واستقرّوا

هم فيها . فضايقهم ابن الظاهر تسعة شهور قتلاً وجوعاً حتى أخضعهم وارسل خمسين منهم في اهلهم الى الرقة وسرّح البقية الى بلادهم . واحتلّ كذلك افريقية واستعمل عليها زعيمين من خيرة رجالها .

وفي السنة ١١٤٠ للسريان ( ٨٢٩ م ) توفي ميخائيل ملك الروم وخلفه ابنه تئوفيل وكان ابوه ( ١٤٤ ) قد توّجه ملكاً قبل وفاته ولم يلبس التاج بعد وفاة تقلا امرأته واقترانه بالمرأة الثانية ولم يجلس على تخت المملكة. لانه لا يحقّ لمن يتزوّج ثانيةً ان يتقلد المملكة عند الروم . ولما توفي ميخائيل عادت امرأته الثانية الى ديرها وقصّت شعرها وانقطعت الى العبادة .

وفي هذا الزمان انتفض بعض الاكراد المسلمين على العرب زاعمين ان قد ظهر المهديّ ملكهم الذي كانوا ينتظرونه . وكان المهدي المذكور يُلقي برقعاً على وجهه ويدعو نفسه مسيحاً وروح قدس . فاجتمع اليه جماهير غفيرة وتحصن في جبال كردستان . فهال المأمون امره وسيّر اليه الحسن قائد الجنود وحصره في طور عبدين وهو ينهب دير قرتمين وتغلب على الاكراد اصحابه . وانهزم المهدي الى بلد اسحق بن آحود الارمنيّ . فقبض عليه اسحق وفلق رأسه . فاحتشد الاكراد ثانيةً ونازلوا قامة اسحق وكان اسحق متغيباً . فهلع الذين في القلعة . وان راهباً كان شقيق امرأة اسحق لما رأى الاكراد اوشكوا ان يدخلوا القلعة اختزط مزراقاً ورمى بنفسه من القلعة وسارع الى زعيم الاكراد وطعنه واهلكه وانقلب الى القلعة غانماً سالماً . وظلّ الذين في القلعة يبكون طول الليل مبتهلين الى الله القدير في نجاتهم وألقت امرأة اسحق العفيفة رضيعها امام الربّ وظلّا يبكيان معاً الليل كله حتى الصباح . وعند ذلك وافى اسحق في أبطاله فهلع الاكراد ولاذوا بالفرار . لكن الثلوج المتراكمة اعاقتهم فقتلك اسحق بأغلبهم وافلتت شرذمة اقامت لها زعيماً يقال له هرون فتك به عليّ وخلفه بابك راعي البقر . وانهزم سائر الاكراد ولاذوا بتئوفيل ملك الروم الذي اخضع البلغار كذلك وحشد الجنود وزحف الى زبطرا وحاصرها وفتحها وقتل رجالها وسبى نساءها وفتيانها واضرم النيران فيها وكرّ راجعاً . وبعد هذا عاد العرب فجدّدوا بناءها .

وبعد سنة انتقض ميخائيل (١٤٥) البطريق على الملك ثوفيل وقصد المأمون وحضه على الزحف الى بلاد الروم . فارتحل المأمون في حزيران الى قبدوقية واحتلّ اربع قلاع . وفي ايار ١١٤٢ لليونان ( ٨٣١ م ) سار الى قلعة لولوة فامتنعت عليه ثم سلمها الاهالي الى عجيف بسبب قلة الزاد . اما عمخائيل البطريق فترك العرب وعاد الى ثوفيل الملك فسخط المأمون وأقسم انه سيزحف ويسحق الروم . فخاف ثوفيل لما سمع ذلك وارسل الى المأمون في الصلح مقرّرًا انه يؤدي له ضريبة . فكتب اليه المأمون : اني مبرم الصلح بشرط ان تنادوا بي ملكاً عليكم . اما الضريبة كثيرة ام قليلة فلست اعارضكم فيها فهلع ثوفيل وأطرق صامتاً ولم يكتب جواباً الى المأمون .

وارتحل المأمون الى قيليقية وزاره هناك رجلٌ مشعوذ يدّعي انه من ذرّية ملكية . فرحّب به المأمون وأمر ايوبَ بطريرك الخلقيدونيين ( الملكيين ) فصلّى عليه واقامه ملكاً وعقد له تاجاً . واقام المشعوذ سنتين في معسكر العرب ولم يأتِ احد الى زيارته . فجاهر حينئذٍ بالاسلام على يد ابي اسحق ابن المأمون . اما ايوب البطريرك الذي توّجهُ ملكاً فقد التأم الاساقفة وحرموه .

وفي السنة ١١٤٣ لليونان (٨٣٢ م) سار المأمون الى مصر يصحبه البطريرك ديونيسيوس (التلمحريّ اليعقوبيّ ). وكان نهر النيل قد جمد يومئذٍ . كما لم يُسمع له مثيل . وفي شهر ايار دخل المأمون بلاد الروم مع ابنيه المعتصم والعبّاس ورجع هناك عَتَلَةً لبنيان مدينة طوانة التي اخربها العرب وما عتم ان وعك المأمون وتوفي هناك يوم الاربعاء ثامن الشهر السابع ( رجب ) في السنة ٢١٨ للهجرة ( ٨٣٣ م ) ودُفن في طرسوس بقيليقية .

## بعد المأمون المعتصم ابنه

تولّى ثماني سنوات وثمانية شهور . على اثر وفاة المأمون حدث خلاف بين العرب ثلاثة ايام فيمن يتولّى الخلافة . ولما كانوا مجتمعين أزيح سجاف الباب ودخل العباس وقال : ان الخلافة هي للمعتصم (١٤٦) فادعُوا في حراسة حياته . فساد الهدوء ما بينهم . وأضرم المعتصم النيران في ما ابتناه المأمون في طوانة

واحرق المواد والمؤونة وقفل الى بغداد ورحب به الاعيان وهم غير راضين عنه بسبب فظاظته . ولما استقرّ في الخلافة جعل يشيد أبنية فخمة لسكناه واقنية وحدائق لتزهاته وكان منهمكاً في الخلاعة معاقراً الخمرة .

وكان الزطّ وهم لصوص يطوفون بجيرات يصبّ فيها الفرات ودجلة ولا يستطيع الجنود ان يقاتلوهم لانهم كانوا يحاربونهم وهم في قواربهم . فاشار المعتصم الى الأسرى الاقباط المتمرّدين السباحة كالأسماك لكي يباغتوا اولئك الزطّ ويقاتلوهم بالمزاريق ويبعجوهم فالتفّ المصريون الاقباط عليهم وأمسكوهم وامسكوا اهاليهم وانقضى امرهم في سجن بغداد .

وظهر يومئذ في بحر البحرين حوتٌ ضخم طوله نحو ميل أزعج البحر ثلاثة اشهر وتعذّر على السبّاحين في طلب اللآلئ استئناف مهنتهم . وحين ذاك ارسل الله عزّ وجلّ سمكةً صغيرة خشّت في اذن ذلك الحوت الكبير وفتكت به . ثم جرفته الامواج الى البرّ . غير ان لحمه لم تكن تنضجه النار فجعل الاهالي يشفونه في الشمس ويدقونه ويأكلونه .

وأحضروا في تلك الغضون الى عبدالله بن الظاهر امير خراسان صبياً ولدته امه خلاف الطبيعة كاملاً بالغاً قدّ الرجال وقد نبت شاربا وحليته .

وفي السنة ١١٤٦ لليونان (٨٣٥م) فاض نير زبطرا ليلاً ودكّ سورها وجرف دورها واختنق ضمنها ثلاثة آلاف نسمة . وحدث كذلك فيضان في دجلة فأخرب بعض الدور في بغداد .

وفي تلك السنة صدر امرٌ الى المسلمين فقوّضوا صباح احد القيامة كنيسة مار جرجس في قوبا وكنيسة آحود امه مدّعين ان النصارى ابتنوهما حديثاً . وزحف عمر صاحب ملطية الى بلاد الروم فلاقاه توفيل الملك وتغلب عليه في اوّل الأمر ثم تشدّد العرب وهزموا الروم وقصدوا معسكر الملك ونهبوا (١٤٧) فراشه وامتعته .

وفي السنة ١١٤٧ لليونان (٨٣٦ م) كتب المعتصم الى ملك النوبة يطالبه بتأدية الأتاوى كالعادة القديمة والّا فيوجّه اليه الجيوش . وكان ملك النوبة حين وصل السفير قد توفي وخلفه فتى اسمه جورجي تتحدّر امه من السلالة

الملكية وكان ابوه وكريا وصيّ على المملكة وعرف ان العرب قوم فقير فقال للسفير : اننا عارفون بما يترتب علينا ان نؤديه كل سنة وهو ٣٦٠ عبداً عملة . وقردة تتثقف وتتعلم لتحاكي البشر في سيرها . وزرافات وعاج وجلود نمورة . غير ان ملوك العرب يجب عليهم كذلك ان يؤدوا لنا كذا وكذا من الخطة والثياب الفاخرة وان نقيم جباة يجبون لنا الجزية من اهالي النوبة المقيمين في بلاد العرب . فاما ألغى العرب العادة التي اتيناها نحن كذلك . ومع هذا كله فها اننا مطلعون على مرومة ملككم ونبالة عنصره فلسنا نكتفي بالتحدث معه بوساطة سفيره لكننا قررنا ان يتوجه ملكنا الجديد بذاته ليقوم بزيارته . فكتب السفير الى المعتصم في ذلك فكتب له الجواب بان يتسهل ريثما يسافر الملك وامر العمال في مصر ان يخرجوا الى لقائه الى سيواني مدينة الحدود واذا وصل الى الفسطاط يُعدّون له من النوق ما يكفي لحاشيته ويؤدّون له كل يوم ثلاثين ديناراً لنفقته .

بناء عليه غادر جورجي وطنه وطاف بلاد العرب ممتطياً ناقة مسرجة تظلّلها قبة مجللة بوشاح قرمزي يعلوها صليب ذهبي وبيده صولجان والى يمينه ويساره يسير فتيان من اهالي مملكته ويتقدّمه اسقف راكباً وبيده راية الصليب الخلاصي والفوارس والعبيد يحفون به ممتطين الخيل . ولما وصل جورجي الى بغداد طاف في شوارعها وحلّ في قصر ملكي أُعدّ له .

وانّ رجلاً من النوبة كان مكلفاً جباية الجزية من أبناء وطنه المقيمين في بلاد العرب تحامل على جورجي الملك وافترى عليه مدّعياً بانه ليس ملكاً لكنه دخيل مكّار (١٤٨) بناء عليه تغاضى المعتصم عن مقابلته منذ شباط حتى آب ريثما كتب الى مصر مستفسراً . ولما استيقن ان الجاني المذكور ادّعى ما ادّعى كذباً وافتراء وان جورجي هو هو ملك النوبة حقيقةً أرسل يدعوه اليه وأمر الجنود ان يخرجوا الى لقائه . وما ان وصل الى البلاط حتى رحّب به المعتصم اجمل ترحيب وأجلسه امامه واسنى له العطاء ثم اعاده الى وطنه بمظاهر الاجلال .

وذكر ديونيسيوس التلمحريّ البطريرك يقول : كنتُ يومئذٍ في بغداد

وقابات المعتصم في المدينة الجديدة التي شيدها ما بين دجلة والفرات ثم بعث الى سليمان طبيبه بان اذهب لاروز جورجي الملك . فذهبت في فريق من الاساقفة والمؤمنين ورأيته فتى نجيباً ذكياً مناهزاً العشرين من سنّه . وافادني بواسطة ترجمان عن صحة عقيدته وعن اشمئزازه مخالطة الارانقة . ويوم الاحد احتفلت بالقداس وناولته القربان الاقدس وناولتُ حاشيته كذلك . وكان معهم آنية التقديس وامتعة الأسرار . .

سبقنا فذكرنا بابك الخوارزميّ الذي انتقض على العرب في فارس وفتك بربوات منهم . ففي هذا الزمان خارت قواه وانهزم ناصر قائد جيشه في كثيرين من اصحابه يريد تئوفيل الملك وانضوا جميعاً الى النصرانية .

وفي السنة ١١٤٨ لليونان ( ٨٣٧ م ) زحف تئوفيل تكرارًا الى زبطرا وحارب العرب والنصارى واليهود معاً حرباً عوانـاً . ومرّ ببلد ملطية فسباه وأحرقه . وانطلق الى سميساط وحاصرها فاحتشد آل ربيعة العرب واهـالي ملطية واغاروا على الروم فانكسروا وخسروا اربعة آلاف قتيل . وانقلب تئوفيل ثانية الى ملطية يتهدّد اهاليها ان يخضعوا او يعاملهم معاملته لاهالي زبطرا . فخرج اليه الوالي والزعماء في العطايا وردّوا له جميـع الذين سبقوا فاجلوهم واسروهم من الروم فاحتوى على ذلك كله وانصرف .

اما بابك الخوارزمي السابق ذكره فلما وهنت عزائمه حمل امواله وانهزم في اربعمائة من رجاله الى نواحي بلاد الروم . وببلوغه الى ارمينية احتـال عليه اسطفان البطريق ومضى به الى بيته (١٤٩) على سبيل المجاملة واوثقه بالقيود . وسمع المعتصم فوجّه الافشين قائد عسكره في هدايا الى اسطفان وقبض على بابك وقتله . وكان بابك قد أفنى اكثر من مائة الف من الجيش العربيّ .

وفي السنة ١١٤٩ لليونان ( ٨٣٨ م ) زحف المعتصم في عشرين الفـاً الى بلد الروم متوجهاً من ثغر طرسوس . وسيّر الافشين في ثلاثين الفـاً من الناحية الاخرى . ولما وصل المعتصم الى بقية الفاها خاويةً فقوّض اسوارها واستأنف الزحف الى انقرة ودكّ سورها ولم يجد فيها نافخ نار اذ كان اهاليها قاطبةً قد انهزموا الى مدينة عمورية الكبرى .

وعند ذلك شد ثنوفيل المعتصم على الافشين وهلك نحو ثلاثة آلاف من العرب . وأحدر الله سبحانه حين ذاك وابلاً من الامطار فانفصل ثنوفيل مع الفي رجل الى جهة اخرى وغلب على ظنّ سائر الروم انه قد قُتل فانهزموا الى قسطنطينية . ولما انقطع المطر وصفا الجوّ أحدق جنود الافشين الكثيرون بالالفين الذين مع ثنوفيل ولم يناوشوهم حتى استحضروا المنجنيقات يريدون رجمهم . عنـد ذلك ثار الروم ثورتهم يُقتلون ويقتلون وشقوا صفوف العرب وأفلتوا وقد ادركهم الليل فأضرموا النيران حول عسكرهم وارتحلوا دون تريث الى عمورية . وعند ذاك اقبل رسول بعثته والدة ثنوفيل تقول له : ان الروم الذين وصلوا الى العاصمة اخبروا انك قُتلت وهم يحـاولون اقامة ملك جديد فعجّل في الرجوع . فبث ثنوفيل في قلوب الجيش روح الحماسة والنخوة وأمر باغلاق ابواب عمورية وتركها كأنها على قابي قوس وعاد الى قسطنطينية وفتك بالزعماء الذين حاولوا ان ينصبوا ملكاً بدلاً منه .

اما المعتصم فقد ندم لانه لم يستفد من هجومه وقال : اننا اسأنا بدخولنا الى ههنا ونرى العودة الى بلاده . لكن احمد حاجبه قال له : لا يجدر بملك نظيرك ان يعود مكسوراً وها هي عمورية قريبة منا فلنزحف اليها ونحتلها . قال هذا وشدّ العرب على المدينة وصوّبوا(١٥٠) المتاريس اليها وطفق البرّانيون يقذفون الحجار على الجوّانيين . وكان الجوّانيون يسحقون كل من يدنو من السور بحجار ضخمة يقتلعونها من السور عينه . ولم يستفد الذين كانوا يحفرون الحفـائر تحت السور بآلات ملبّسة جنوداً . وهكذا هلك من الجهتين مدة ثلاثة ايام الوف من المقـاتلين . واتفق ان البرّانيين لمحوا مكاناً في السور متخلخلاً متقلقلاً فصوّبوا نحوه المنجنيقـات وثغروه في مدة يومين . واحتشد المحاربون الجوّانيون على تلك الثغرة واتلفوا فيها قتلى كثيرين من البرّانيين ولم يمكنوهم من الدخول .

وبعث الروم يسألون المعتصم ان يخرجوا اليه فأذن لهم . فسار اليه الاسقف وثلاثة من الزعماء وطلبوا ان يدعهم يخلون المدينة ويغادرونها فلم يرضَ بل تشدّد وتصلّب نظراً الى كثرة مَن قُتل من عسكره . ولما عاد الوفد الى

المدينة انقلب بودوين الرعيم الى المعتصم وطلب الامان لاصحابه على ان يسلمه المدينة دون تكلف. فأدّى له المعتصم عشرة آلاف دينار قبضها وانقلب وجعل يبث الفشل في قلوب المحاربين ويقول لهم : كفاكم تقتلون العرب في الثغرة فانكم مغلوبون لا محالة . فالأجدر ان تكفوا عن القتال فلعلهم يشفقون . وما عتم ان دخل العرب المدينة وقبضوا على أقاليس البطريق وعلى الوالي وعلى بودوين ذاته الذي أسلمهم المدينة . وجعلوا يكرّمون القتلى اكراماً اكراماً. وصدر الأمر بالعدول عن القتال والاقتصار على السبي ونهب المدينة بعدئذٍ واضرامها بالنيران .

ولقد كانت عمورية حافلةً بالكنائس والديورة . وسبى العرب منها الفاً من العذارى سوى من قتلوا منهنّ . ولما جمعوا المأسورين وشاهد المعتصم كثرتهم أمر بقتل اربعة آلاف منهم . ثم تقدم الجنود يخطفون البنين والبنات من امهاتهم فارتفعت اصوات البكاء والنحيب وتأثر الخليفة ونهض ساخطاً وركب وقتل بيده ثلاثةً من اولئك الخاطفين . ثم جمعوا المأسورين وأعطى الخليفة بعضهم للضبّاط وبعضهم للاتراك وباع البعض من التجّار دون تمييز بين البنين والآباء . وقد دهش العرب (١٥١) اكثر من الروم بتلك الملحمة وما جرّته تلك الثغرة من الخراب والدمار . وكانوا يقولون : قد كُتِب في اساطير الروم ان دولتهم ينقضي امرها عندما تُجتاح عمورية !

ولما كان المعتصم منصرفاً الى محاربة عمورية كان اخوه العباس بن المأمون والقائد عُجيف يكيدان له ليوديا بحياته . فاطلع المعتصم على المكيدة بوساطة كاتب نسطوريّ طبيب . فأوثقهما واركبهما جملين وارتحل من عمورية . وتوفي العباس في سروج عطشاً . وكتب المعتصم الى البلاد ليلعنوه لانه حاول ان يسلم معسكر العرب باجمعه الى الروم .

ولما اطلع ثئوفيل على ما فعله العرب في عمورية جعل يلوم نفسه لانه هو كان السبب في ذلك مذ اخرب زبطرا . فأوفد الى المعتصم مع باسيل بطريق كرشنة تحفاً وهدايا ورسالة حبيّة وسأله ان يطلق أقاليس البطريق المأسور عنده فيطلق هو كذلك الأسرى العرب . وكتب رسالةً ثانيةً ضمّنها قدحاً وتهديداً

وأمر باسيل ان يدفعها الى المعتصم اذا أتى عند الصبح ودعه . ولما صبح المعتصم الرسالة الاولى فرض على الروم ان يسلموا اليه ما عدا جميع الاسرى العرب ناصراً الكرديّ وعمنوئيل البطريق الذي كان عند العرب وانهزم. فقال له باسيل : ان ذلك لمن المستحيل. فقال المعتصم : اذن تهيأوا للحرب. عندئذٍ دفع له باسيل الرسالة الثانية فقرأها واحتدم غيظاً وردّ الهدايا الى باسيل مندوب الملك تئوفيل . ثم وجه الى ابي سعيد ليكمن في جهة والى الامير بشير واهالي المصيصة ليكمنوا في جهة اخرى . ولما كان بشير منهمكاً في السبي باغته ناصر والاكراد واسترجعوا الغنائم . ووصل اذ ذاك ابو سعيد فتقوّى العرب وفتكوا بناصر وبكثيرين من رجاله الاكراد وجمعوا جماجم جمّة ومأوها ونقلوها الى المصيصة وخرجت النساء ليستقبلن رجالهنّ ظانّات انهم راجعون ظافرين ويتفرّجن على جماجم الاكراد . ولشدّ ما تألمن وتوجعن وقتما عرفن ان اغلب تلك الجماجم هي جماجم ازواجهنّ . على ان اولئك الاكراد قبل اندحارهم فتكوا بكثيرين من العرب (١٥٢). ولقد ابتهج المعتصم بقتل ناصر فطوّق جيد بشير بقلادة ذهبية .

وفي ٦ نيسان ١١٥١ لليونان ( ٨٤٠ م ) ظهرت في الشمال علامةٌ حمراء وهطلت الامطار مدراراً وحدث فيضان أخرب حرّان . وحدثت في حزيران زلزلة عنيفة في ارضروم وسقط من سورها ثمانية عشر برجاً ومسات زهاء مائتي نسمة . وفي تموز سقطت ثلجان على بغداد والبصرة في يوم واحد وفي ساعة واحدة . والتهبت في بغداد خمسة آلاف حانوت وثيقاً . وتقوّضت في اليوم عينه مدينة في خراسان وأمست تلّاً من تراب وهلك سكّانها قاطبةً وبعد يوم انفلق جانبٌ من ذلك التلّ وخرج منه رجلٌ واحد وحمارٌ لا غير . وفي ١٤ ايار ظهر شكل سحابة في المشرق سارت نحو الشمال والمغرب . وكان جانبها الأعلى أحمر كالدم وجانبها الاسفل كالقير . واضاء النور طول الليل على جميع الاجسام والجدران والاسوار والدور .

وفي هذا الزمان وصل الروم في البحر الى مرفأ انطاكية ونهبوا التجّار وأجلوا الاهالي وأمر المعتصم ببنا. قلعة ضمن المرفأ .

وفي السنة ١١٥٢ لليونان( ٨٤١ م ) زحف ابو سعيد الى بلاد الروم وغزاها. وفيما كان خارجاً صادفه الروم في قيليقية واسترجعوا الغنائم . وكرَّ ابو سعيد زحفه وانقلب مايوساً . وسار الروم الى الحدث ومرعش وبلد ملطية وغزوها.

وفي تلك الاثنا. ارسل تنوفيل الهدايا الى المعتصم يسأله مبادلة الاسرى . فتقبل المعتصم الهدايا وقابله بضعفها . وكتب اليه : ان شرعنا لا يسوِّغ لنا ان نعادل المسلم بالروميّ . ولكن ان منتَّ عليَّ بالعرب دون ان تطلب بدلاً ففي وسعنا ان نقابل ذلك باضعاف ونفوقكم في كلّ شيء . ثم ردّ سفراء الروم في خمسين جملاً موسَّقةً هدايا فاخرة وصارا الى الصلح والموادعة .

وفي السنة ١١٥٣ لليونان ( ٨٤٢ م ) انتقض في فلسطين رجلٌ اسمه تميم وكنيتُهُ أبو حرب . وانضمّ اليه ثلاثون ألفاً من الجياع والعراة ( ١٥٣ ) . وكان يحجب وجهه بمنديل ويتظاهر بانه يغار على شريعة ذهبت حرمتها . وجعل ينهب ويقتل هو كذلك وسار الى اورشليم وحاول ان يحرق الكنائس. فأدّى له البطريرك ذهباً كثيرًا ورحله . ثم ثار عليه راجا القائد وفتك بثمانية آلاف من رجاله . وقبض على الصر منهم وعلى ابي حرب نفسه وهو مصاب بضربة وارسلهم جميعاً الى المعتصم .

وفي تلك الاثنا. انتقض موسى زعيم الاكراد في كردستان فسار اليه العجم في الشتا. فأهلك الاكراد منهم نحو خمسة عشر الفاً. وكان الاكراد متقلّبين في خيامهم متعافين اما العجم فكانت أجسامهم تتنبض لشدة البرد وتتنثر اصابعهم.

وفي هذا الزمان حدث غلاء فظيع وطاعون فتّاك وضيق شديد بسبب ثقل الضرائب واستفحال امر الخوارج حتى ان اهالي دارا ونصيبين وآمد خرجوا من وطنهم منهوبين وانقضّ عليهم العجم وفتكوا بهم واشفقوا على النصارى ونجا بسببهم كثيرون من العرب تظاهروا بالنصرانية وهم يصنعون اشارة الصليب. وفي السنة ١١٥٤ لليونان ( ٨٤٣ م ) توفي المعتصم وأعتق بتوته ثمانية آلاف من العبيد اشتراهم . وخلّف اربعين الفاً من الخيل للركوب . وعشرين الف بغل لحمل الاثقال وثلاثين الفاً من ساسة الدوابّ . وتوفي في تلك الايام كذلك تنوفيل ملك الروم .

## بعد المعتصم الواثق ابنه

تولى خمس سنوات وتسعة شهور . وضيق على العباد وأنزل بهم اعدية فادحة واستترف منهم ربوات جمة من الدنانير . وفي السنة الاولى لخلافته وهي السنة ١١٥٥ للاسكندر ( ٨٤٤ م ) تولى مملكة الروم ميخائيل بن تئوفيل وهو في السن الثالثة وكانت ثئودورا أمه تسوس المملكة والقائد عمنوئيل متولياً أمر الجنود . وبعث الروم الى العرب في شأن الصلح والمبادلة بالاسرى . ولما وصل سفيرهم رحب به الخليفة الواثق اجمل ترحيب ولم يفرط في الكلام كأبيه الذي قال : اننا لن نرضى ان يتوازى النصارى والعرب في مبادلة الاسرى (١٥٠١) لكنه رضي بتبادل الواحد بالواحد . غير ان سفير الروم أبى في اول الامر مصرحاً بان الأسرى العرب هم ضباط باجمعهم وقد استؤسروا في الحرب . اما الأسرى النصارى عند العرب فاغلبهم فلاحون غشوهم من القرى شيوخاً وعجائز وفتياناً وفتيات : بناء عليه لا نرى ان نبادل فرداً بفرد . وبعد اخذ وردّ رضي السفير اخيراً بمبادلة الواحد بالواحد . وأحصي عدد الأسرى العرب فكان اربعة آلاف وثلاثمائة واثنين وستين . اما الأسرى النصارى فكان اقلّ جداً . ولما ارسل الخليفة الواثق فجمع من اطراف مملكته كل العبيد والجواري واشتراهم من مواليهم ومع ذلك لم يسدّد عددهم عدد الاسرى العرب . فأخرج من بلاطه جميع الجواري الروميات اللواتي سبق فانتقاهن له وارسلهنّ مع مندوبيه . وتجمهر العرب والروم عند نهر سلوقية بحدود طرسوس وأجروا التبادل والتحرّز .

قيل ان الواثق اوصى مندوبيه ان يستخبروا كل عربي يسترحونه : هل كلام الله ( في القرآن ) مخلوق ام لا ؟ فمن قال انه غير مخلوق اطلقوه ومن قال انه مخلوق تركوه في ايدي الروم .

وتوفي الواثق بداء الاستسقاء . وعالجه الاطباء بالقعود في تنّور حام فشعر بشيء من الفائدة ثم أمر ان يوقدوا النيران اكثر مما تتطلبه اصول الطب واطال القعود فيه فأخرجوه من هناك ميتاً .

وكان خلفاء العرب الى هذا الحين لا يهمهم الا احراز النصر والظفر

لكنهم بعد ذلك استقاموا للخلافة وانهمكوا في السكر . وبلغ الفجور والفسق من الواثق حتى ان مولى احدى جواريه المطربات طالبه بمائة الف دينار ذهباً وبالإمارة على مصر ديةً لها . ولو لم يردعه كبار الدولة لأدى ذلك دون تريث . وانتهى الامر بان ابتاعوها له بعشرة آلاف ذهبي .

## بعد الواثق اخوه المتوكل

تولى اربع عشرة سنةً وتسعة شهور . وكانت خلافته عام ٢٣١ للعرب ( ٨٤٥ م ) (١٥٥) وتمادى في بغض المسيحيين حتى اضطرهم ان يتعمموا بعمائم صوف وان لا يخرجوا خارجاً إلّم يتزنروا بزنار وكستيج . ومن كان له عبد لزمه ان يخيط على قميصه من قدّام ومن خلف رقعةً لونها غير لون القميص . وان تقوّض الكنائس الحديثة البناء . واذا كان للنصارى كنيسة واسعة ولو قديمة وجب ان يؤخذ جانب منها ويجعل مسجداً . وان لا يطوفوا بالصلبان في احتفالاتهم . وشدّد بمثل هذه الاوامر الجائرة وافظع منها على اليهود . وقوّض ضريح الحسين بن عليّ المتصل نسبه بابنة نبيهم وهدم البيوت المجاورة له وأمر ان يُزرع ذلك المكان ويُسقى ويُساق بالفدّان ويمحو اثر الضريح تماماً .

وظهر في عهده رجل بنيسابور ادّعى النبوّة وانشأ كتاباً ضمّنه على زعمه ما لقنه جبرائيل الملاك وتبعه الكثيرون . فقُبض عليه وصُفع حتى أقرّ بكذبه .

وفي السنة الثالثة لخلافة المتوكل عقد إمارة البلاد لابنائه الثلاثة فجعل المنتصر والياً على افريقية ومصر وما بين النهرين وآثور والخابور وقرقيسيا وتكريت والجنوب وارض سبا وشبا حتى حدود الهند وشهرزور واصفهان وقوم وقاشان وقزوين وجبال العجم اجمع . وولى المعتز ابنه الثاني خراسان وطبرستان والريّ وارمينية واذربيجان وان يقبض حساب جبايات بلاد العرب عموماً . ونصب المؤيد ابنه الثالث والياً على دمشق وحمص وارض الاردن وفلسطين .

وفي السنة ٢٣٧ للعرب ( ٨٥١ م ) سار بكراط بن آشوط بطريق ارمينية الى زيارة يوسف بن محمد رئيس قوّاد الجيوش العربية بشأن عقد الصلح . فقبض

عليه يوسف وأوثقه وبعثه الى بغداد . فاحتشد عساكر الروم و . من و تقضو على مدينة طارون حيث كان يوسف . وما ان برز يوسف لمناوشتهم حتى خرّ صريعاً هو وكل من شاركه في القتال . اما سائر العرب (١٥٦) غير المحاربين فقد نزع الارمن ثيابهم وتركوهم عراةً حفاةً هزأهم الثلج وقضى عليهم .

وبعد هذا توجه بغا القائد الكبير الى ارمينية فسبى وقتل الكثيرين . وبعد قليل زحف بيغد زيرك التركيّ الخارجيّ وكان قد استقلّ بتفليس فنتك به زيرك على نهر كور الذي يمرّ وسط تفليس وأضرم فيها النيران فالتهمت زهاء خمسين الف نسمة وكانت أبنيتها كلها من خشب الصنوبر الذي يتقد وينطفئ فوراً بخلاف خشب البلوط وفي يوم واحد اطفأوا النيران كلها .

وخلع الحصيون والي مدينتهم وفتكوا به .

وفي هذا الزمان استخفّ العرب بالروم ونقضوا الصلح ولاسيما لان مقاليد مملكتهم كانت بيد امرأة . فنهضت ثئودورا الملكة ووجهت الجيوش الى قيليقية عام ١١٧٢ لليونان (٨٦١ م) فغزوا بلد عين زربة كله . وما ان اطلع المتوكل على ذلك حتى وجّه اليها الحاجب نشيف بشابة سفير لاجل الصلح واعتاق الاسرى . فقالت له الملكة : اننا نوافق على عقد الهدنة ولكن انى لكم عشرون الف اسير مسيحي تبادلونهم بالأسرى العرب الذين عندنا ؟ على ان السفير راضاها كيفما كان فاطلقت ثمانية آلاف أسير وابقت على اثني عشر الفاً وقالت : ان هؤلاء قد تنصّروا فلا سبيل الى التخلي عنهم . قيل ان نشيف لما تسلم الالاف الثمانية وخرج أمرت ثئودورا بقتل البقية لانهم بعد ما تنصروا واعتدوا حاولوا للهجوم . وروى بعضهم ان نيقولا حاجبها فتك بهم دون علمها .

وفي هذه السنة زحف قومٌ من الاحباش البوغيين وقتلوا جميع العرب العاملين في معادن الذهب والجبار الكريمة بين حدود مصر والحبشة . فسار اليهم عنبسة القائد العربي في عشرين الف فارس وراجل (١٥٧) في ذخائر وافرة ومياه كافية لخلوّ تلك الصحراء من الماء . والمسافة ثلاثة ايام . وجعل البوغيون يقاتلون وهم على ظهور الجمال والجمال تفرّ هرباً مما تشاهده او تسمعه . فأمر

عنبسة جنوده فطلقوا جلاجل في رقاب خيلهم واطبقوا على البوغيين وكسروهم وفتكوا بالكثيرين منهم . وخضع بقيتهم للعرب واصبح ملكهم يؤدي كل عام اربعمائة مثقال من الاكسير كالعادة .

واشتهر في هذا الزمان الطبيب بختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع بن جورجيس بن بختيشوع الجلامي . وخدم الخليفة المتوكل واحتظى لديه حتى صار يعادله في كسوته ومقامه وماله وثروته وعبيده وجواريه ، وأحبه الخليفة حباً جماً حتى انه لما دخل الطبيب يوماً وجلس قريباً منه كعادته فوق السدة متوشحاً بدراعة أطلس رومي وذيله مشقوق قليلاً طفق الخليفة يحادثه وهو يعبث بذلك الفتق حتى بلغ الى الاكمام . وجرى بينهما ما يجري بين المتوهمين المختبلين . ثم سأل الخليفة طبيبه : بمَ يعرف الاطباء ان المجنون يحتاج الى الربط بالقيود ؟ ولما كان بختيشوع قد شعر بما فعل الخليفة بثوبه قال له : نعرف ذلك اذا بلغ المجنون في فتق ردائه طبيبه حتى الاكمام فعند ذلك نقدّر انه يفتقر الى قيود . فضحك المتوكل حتى استلقى على ظهره وأمر له بثياب فاخرة ألبسوه اياها . وعلى فرط محبة المتوكل لطبيبه هذا فقد قلب له ظهر المجنّ واستغنى كل ماله على اثر مأدبة فاخرة أعدها له الطبيب . اذ هيأ فيها خمسة آلاف خوان على كل خوان خروف مشوي ودجاجتان وحمامتان وثلاثة ألوان طبيخ وطبق حلوى وخبز سميذ كافٍ ونقول وطيوب وثلج ( ١٥٨ ) كثير قد استُحضر من جبال آثور الى بغداد في فصل الصيف . قيل ان الخليفة بعد ما اخذ ما اخذ من بختيشوع ظل لديه من الحطب والفحم والنبيذ ما ابتاعه منه الحسين بن المخلّد الشريف بستة آلاف دينار ثم باع ذلك باثني عشر الف دينار .

غير ان بختيشوع خرق النواميس البيعية واتخذ امرأتين معاً وجبلت كل منهما وولدت ابناً ، احدهما جبرائيل وثانيهما يوحنا الذي تولى مطرانية الموصل . ولم يتوفق بعد ذلك . وكان في اول امره يجلس في مركبة من ابنوس ويذهب من دار الخليفة الى داره . وكان يقوم بخدمته الف رجل . وكان منذ المساء حتى منتصف الليل يستسلم الى الخلاعة القبيحة ثم ينهض نصف الليل يصلي يحيط به خصيان سود كان مغرماً بجبههم . وكان يجلس على فراشه بعد الصلاة ويطالع

الاكحيل حتى الصباح فيركب الى خدمة الخليفة . ويقال ان نفقة شعاته وزيته وطيوبه بلغت خمسمائة دينار . وبعد ما افتقر بختيشوع خلف ابنين وثلاث بنات تفرقوا في البلاد .

وفي السنة ١١٧٦ لليونان (٨٦٥ م) وهي السنة ٢٥٢ للعرب وجه ميخائيل ملك الروم اطروفيلس الشيخ سفيرًا الى المتوكل خليفة العرب في سبعة وسبعين اسيرًا بمثابة هدية فرحب به الخليفة وعقد معه الصلح .

وفي هذه السنة حدثت زلزلة عنيفة في انطاكية قوّضت الفاً وخمسمائة دار واكثر من تسعين برجاً في سورها وسُمعت من الارض اصوات مخيفة هائلة . وأخربت هذه الزلزلة اماكن كثيرة في سوريا وأتلفت اهالي اللاذقية وجبلة جميعاً .

وفي السنة ٢٤٦ للعرب ( ٨٦٦ م ) بعث المتوكل سفيرًا الى ميخائيل ملك الروم يقال له الناصر بن أزهر في الف ( ١٥٩ ) صرّة مسكٍ واوانٍ فاخرة وزعفران وافر وامتعة اخرى . فرحب به الملك اجمل ترحيب وردّ اليه الفي أسير بينهم عشرون امرأة وعشرة فتيان . قال الناصر : اني طول مكوثي في قسطنطينية لم أرَ الملك يتكلم بعد اصغائه الى حديثي بواسطة ترجمان بل كان يجيب بكلمة نعم لا غير . فكان خاله يتكلم بدلاً منه لانه كان بعدُ فتًى . ولما كان الكثيرون من العرب قد اصطبغوا بتياه العماد اصدر ملك الروم امرًا بان ينطلقوا الى بلاد الحدود التي بين الروم والعرب . وقال : ان الذي يرغب النصرانية ويعود الى بلادنا نقبله بمثابة مؤمن حقيقي . قال الناصر : رجع منهم صائغان شهيران من اهالي افريقية وغيرهما كثيرون لم يتبعونا .

وفي السنة ١١٧٧ لليونان (٨٦٦ م ) وهي السنة ٢٤٧ للعرب اتفق المنتصر ابن المتوكل سرًّا مع العبيد الاتراك فانقضّوا على ابيه بالسيوف وهو سكران وبطشوا به .

## بعد المتوكل المنتصر ابنه

تولّى الخلافة ستة اشهر واضطرّ اخويه المعتزّ والمؤيد وهدّدهما بالقتل إلّم يتخليا له ولبنيه عن الخلافة خلافاً لما قرره المتوكل ابوهم اعني ان يتولّاها الواحد تلو الآخر . وقد اضطرّ الاخوان على كره منهما ان يكتبا بخط يدهما

ويُشهدا عليها رجال العدل بانها تنزّلا عن حقها طوعاً وان المنتصر اخيها ان يولي الخلافة لابنه من بعده . هكذا ما اكتفى المنتصر بقتل ابيه بل غدر باخويه ايضا . لكن خلافته لم تستغرق اكثر من ستة اشهر ومات بداء الذبحة بالغاً الخامسة والعشرين . قيل انه قبل وفاته رأى في الحلم كأنه يتسلّق سلماً فلما وصل الى الدرجة الخامسة والعشرين قيل له : مكانك . هذه نهايتك !

## بعد المنتصر المستعين بن المعتصم

تولى ثلاث سنوات وثلاثة اشهر . لما توفي المنتصر تشاور (١٦٠) الاقطاب وقضوا بان لا يملّكوا احدًا من اخوة المنتصر لانهم اشتركوا جميعاً في قتل ابيهم غدرًا . فأحضروا من ثم المستعين بن المعتصم أخا المأمون وأقسموا له وبايعوه بالخلافة .

وفي السنة ١١٨٠ لليونان (٨٦٩م) وهي السنة ٢٤٦ للعرب زحف عُمَر قائد الجيوش العربية الى بلاد الروم . فلقيه الروم في مرج المطران بحدود ملطية وأجهزوا عليه وعلى الفئين من اصحابه . ولما سمع علي بن يحيى القائد الأكبر حشد عساكر كثيرة من ميافرقين وارمينية وزحف يريد مناوشة الروم فكانت الدورة كذلك عليه وخرّ قتيلًا . فسمع اهالي بغداد وسامرًا بقتل هذين القائدين الكبيرين وادركوا ان العبيد الاتراك قد احتلوا دولة العرب وجعلوا يقتلون من ارادوا ويستخلفون من أحبوا فحشدوا جماهير غفيرة من السوقة وقطاع الطرق وقصدوا السجن وحطموا الباب واخرجوا المجرمين واتفقوا معًا وقطعوا جسر دجلة ودخلوا الخزينة ونهبوها واحرقوا صكوك الكتّاب . ونهبوا من الجملة دارَي بشر وابرهيم ابنَي هرون النصرانيين . فسخط العبيد الاتراك وفتكوا بالكثيرين من قطاع الطرق وانتهت الفتنة .

## بعد المستعين المعتزّ بن المتوكل

تولى اربع سنوات وسبعة شهور . في السنة ٢٥١ للعرب ( ٨٧١ م ) لما نزل المستعين من سامرًا الى بغداد تجمهر الاتراك واخرجوا المعتزّ والمؤيد ابنَي المتوكل من السجن وحالفوا المعتز وبايعوه بالخلافة . واقسموا للمؤيد بالخلافة

بعده . فاصبح اهالي بغداد متحزبين للمستعين واهالي سامرا للمتوكل . وحدث بسبب ذلك شغب كثير وقتل الكثيرون من الحزبين .

وفي السنة ١١٧٩ لليونان (٨٦٨م) توفي ميخائيل ملك الروم واستغرق ملكه خمساً وعشرين سنة ولم يخلف ابناً (١٦١) وخلفه رجل اسمه باسيل خمس سنوات.

اما المعتز فانتقض على اخيه المؤيد وعبث بما أبداه من الأيمان والعهود والقاه في السجن وظل يصفعه حتى استكبه التنزل عن حقه بخط يده.. ولم يقتصر على ذلك بل وجه الى السجن مَن أدرجه في فراء من جلد السمور الذي يدفئ كثيراً ثم أمر ان يدخلوا رأسه فيه ويربطوا يديه ورجليه ويخيطوا الفراء ويتركوه . وهكذا قضى نحبه . ثم اخرجه المعتز واستحضر القاضي وشهود العدل فلم يجدوا فيه اثراً لطعنة سكين او حبل في عنقه فقرروا انه مات موتاً طبيعياً .

اما المستعين الذي تنزل كذلك فقد حزّ الاتراك هامته واحضروها الى المعتز . وكان المعتز فيما قيل يلعب وقتئذ بالشطرنج فقال لهم تربصوا ساعةً ريثما افرغ من الدست ثم أنظره . وبعد ما فتك المعتز باخيه وبالمستعين وثق بقوته واعرض عن الاتراك ولم يؤدّ لهم ارزاقهم . فاحتشدوا عام ٢٥٥ للعرب (٨٦٨ م) مسلحين على باب الخليفة وطالبوه بحقوقهم . فارسل الى امه لتعطيه ما يؤدي لهم فقالت ان ليس لديها شيء . عند ذلك وثبوا عليه وبصقوا في وجهه ولطموه والجأوه ان يكتب كتاب تنزله عن الخلافة. ثم اوثقوه وزجوه في سرداب ضيق وسدوا الباب في وجهه وتركوه بضعة ايام حتى قضى نحبه فاخرجوه ودفنوه . هكذا جرى به ما أجراه بغيره.

## بعد المعتز المهتدي بن الواثق

تولى احد عشر شهراً وعشرين يوماً . ولم يرضَ بالخلافة على ما قيل حتى احضروا المعتز امامه وتنزل مقراً بالعجز وعدم الكفاءة بما أسند اليه .

وظهر يومئذٍ علي الخارجي وادّعى انه من سلالة علي ابن عم نبي المسلمين. وانضم اليه طائفة كبيرة من احباش واعراب أطلق عليهم لقب قرامطة باسم (١٦٢) وطن علي زعيمهم . وقد اجتزوا على الكثيرين من العرب واحتلوا

... حروب محمد ... سويد وسمور ومكحولة ... كثيرة .

اما المهتدي فقد طرد مطربين والمطربات من سر من رأى (سامرا) حيث كان يقيم الخلفا . يومئذ وكسر آلات الطرب وفتك بالسباع والدببة والكلاب التي كان يلتهي بها من سبقه من الخلفا . فثار عليه العبيد الاتراك ليفتكوا به فانهزم من وجههم متطياً حصاناً وهو يصرخ ويقول : يا ناس ساعدوا خليفتكم! فلم يستجبه احد فدخل دارًا والاتراك يلحقونه فطفر من سطح الى سطح حتى أدركوه وقتلوه عام ٢٥٦ للعرب ( ٨٦٩ م )

واشتهر في هذه الفتن حنين الطبيب الفاضل ابن اسحق . وكان ابوه صيدلياً في الحيرة وأحبّ ان يدرس الطبّ . فشخص الى بغداد وقرأ مجموعة الاسكندريين على الطبيب يوحنا بن ماسويه . وفي بعض الايام اعترض حنين على معلمه يوحنا فحرد يوحنا وطرده وقال له : دع عنك الطبّ حسبُ من كان مثلك ان يبيع فلوساً بجانب الطريق . فامتعض حنين وخرج باكياً وتوجّه الى بلاد الروم واقام بها حتى أحكم اللغة اليونانية وتوصل الى ان ينقل الكتب عنها الى السريانية وعن السريانية الى العربية وعاد الى بغداد ثانيةً بزيّ يوناني وقصد جبرائيل رأس الاطباء ابن بختيشوع فامتحنه وزاد في تبجيله وسباه الربان وقال للحاضرين إن مُدّ في عمر هذا الشاب فلن يترك ذكرًا لسرجيس الراسعينيّ . وبلغ خبره يوحنا الذي طرده فاستدعاه واستغفره . ولم يزل فضل حنين يتزايد يوماً فيوماً وهو يفسر انواع العلوم حتى توفي في كانون الاوّل ١١٨٨ لليونان ( ٨٧٧ م ) وهي السنة ٢٦٠ للعرب .

وخلّف حنين ابنين هما اسحق وداود . وفسر اسحق كذلك(١٦٣)كتباً جمة . ومجموع تآليف حُنين خمسة وعشرون كتاباً سوى ما نقله عن اليونانية الى السريانية والعربية . وكان له ابن اخت يقال له حبيش بن الحسن الأعسم . ومن حسن حظّ حنين ان اغلب ما نقله حبيش لمّا كان يطالعه بعض الجهّال كانوا يتوهمون انه بقلم حنين وان الناسخ صحّف الاسم فكانوا يكشطون لفظ حبيش ويكتبون بدلاً منه لفظ حنين . ولهذا أمست تآليف حبيش قليلة وأصبح اغلبها مكتوباً باسم حنين .

## بعد المهتدي المعتمد بن المتوكل

تولى ثلاثاً وعشرين سنة . وقضى زمان خلافته في مقاتلة الخارجي الذي ظهر في الجنوب . وفي السنة ٢٦٥ للعرب ( ٨٧٨ م ) انتزع الروم من العرب قلعة لولوة وفي القابل حشد ابن الرشيد القائد العربي اربعة آلاف فارس وسار بهم الى بلاد الروم فأغار عليه بطارقة سلوقية وطرانا وخرشنة وغيرهم واحاطوا بجيشه . فأيس العرب وانحدروا عن خيلهم وربطوها وخرّوا على ركبهم وجعلوا يصبون السهام نحو الروم فلم يُجدهم ذلك نفعاً . على انّ الروم انصبوا على العرب وقتلوا البعض واستأسروا البعض الآخر في جملتهم ابن الرشيد قائدهم .

وفي السنة ٢٧٠ للعرب (٨٨٣ م ) حشد الموفق قائد الجيش العربي كتائب ضخمة بحراً وبراً وسار يريد الخارجي في الجنوب وتغلب عليه بعد عراك شديد وفتك به ما بين نهرَي بابل وبطش بعسكره . ولم يكتفِ على بادّعائه انه من سلالة النبي العربي بل اذاع انه هو النبي وانه لما كان يوماً في الصحرا. ظللته سحابة تبعها رعد وصوت من الرعد يقول له : اقصد البصرة تحرز النصر . ولقد انتصر واحتلّ المدينة واجتمع اليه الضبّاط ولكنه ( ١٦٤ ) لم يتوفق في الزعامة .

وفي السنة ١١٩٤ لليونان ( ٨٨٣ م ) توفي باسيل ملك الروم وخلفه ابنه لاون ثلاث عشرة سنة . وخرق الشرع النصراني فهجر امرأته وتزوج بامرأة ثانية ثم طلقها وتزوج بامرأة ثالثة ورابعة واتخذ زوجتين معاً .

وفي السنة ٢٧١ للعرب ( ٨٨٤ م ) انقضّ لصوص بغداد على الدير الذي بعد نهر عيسى ونهبوا ما فيه وقوّضوا بعض جدرانه .

وبعد سنة ثار العرب في طرسوس وذكوا أبنية الكنيسة الكبرى الجديدة وحدثت زلزلة هائلة قوّضت مسجد مصر الكبير وكثيراً من الدور . وحدث كذلك وباء قتال وأحصي في يوم واحد الف نعش ميت . وحدث كذلك غلاء في بغداد .

وفي السنة ١٢٠٠ لليونان ( ٨٨٩ م ) انفلق تلّ على ساحل نهر البصرة

تحت بغداد وحاذف الناس سبعة موتى موضوعين في اجران حجرية ونها ون الجلد . وقد حُفظت جثثهم واكفانهم ورائحة مسك تفوح من اجسامهم . وحُفظت كذلك آذانهم وانوفهم وشفاههم وشعورهم وحواجبهم وعيونهم كأنها محكحلة . وشاهدوا اثر طعنة رمح في جنب احدهم . وحُفرت على اجرانهم كتابات حجرية لم يتوصل احد الى قراءتها .

واشتهر آنئذٍ محمد بن زكريا الطبيب . ترك الريّ ووفد بفارس ووافى الى بغداد بالغاً الثلاثين من سنه ودخل البيمارستان واكبّ على العلم حتى فاق ابناء عصره . وصنف كتباً جمة في الطب والكيميا افضلها كتاب الحاوي . وعلى اثر وفاته دفع صاحب البلد ذهباً وافراً الى اخته واشترى اوراقاً مبعثرة من ذلك الكتاب ضمها تلامذته في كتاب واحد ولكنه ظل غير منتظم .

## خبر النصيريين (١٦٥) في فونيقية

رغب الكثيرون ان يعرفوا من هم النصيريون فنقول : في السنة ١٢٠٢ لليونان ( ٨٩١ م ) ظهر شيخ في اطراف الكوفة بقرية الناصرية كان يكثر من الصوم والصلاة ويتظاهر بالزهد وتبعه كثيرون من اهل البلد . واصطفى اثني عشر رجلاً بعدد الرسل واوصاهم ان يبثوا بين الناس تعاليماً غريبة . ولما اطلع حاكم البلد على خبره ارسل فقبض عليه وحبسه في احدى غرف داره وأقسم انه صباح الغد يشنقه . وشرب الحاكم تلك الليلة خمراً حتى سكر وفرشوا له لينام . فطلب مفتاح الغرفة التي حبس فيها الشيخ ووضعه تحت وسادته وغرق في النوم . وكان للحاكم خادمة تنام عنده سبقت فاطلعت على صوم الشيخ وصلاته فاخذتها الشفقة عليه وقصدت مولاها وهو غارق في سبات عميق والتقفت المفتاح وذهبت فاطلقت الشيخ ثم اغلقت الباب ورددت المفتاح الى مكانه .

ولما افاق الحاكم تناول المفتاح وفتح باب الغرفة فلم يجد فيها احداً فأخذه الدهش وتخوّفت الخادمة ان تعلمه بانها هي التي فتحت وأطلقته . وهكذا ذاع الخبر بان الشيخ خرج والابواب مغلقة . وما عتم ان شاهد الشيخ اثنين من

تلامذته يسوقان قدّاماً في اراضٍ بعيدة عن القرية فقصد محوهما وأكد لهما ان الملائكة احاطوه وحماه في البرّية . ثم كتب كتاب مذهبه ودفعه اليهما ليعلّما الناس بموجبه . وقد اثبت فيه ما يلي : اني انا فلان الذي يُظنّ انه ابن عثمان من قرية الناصرية قد ظهر لي في الرؤيا المسيح يسوع الكلمة الهادئ وهو احمد ابن محمد بن الحنفية من وُلد علي . وهو جبرائيل (١٦٦) الملاك وقال لي : انك انت الداعي . انت الحقّ . انت جَمَل يحقد على غير المؤمنين . انت بهيمة حاملة ثقل المؤمنين . انت روح . انت يوحنا بن زكريا فانذر الناس ليجثوا اربع ركعات في صلاتهم : ركعتين قبل بزوغ الشمس وركعتين قبل الغروب شطرَ اورشليم . ويقولون في كل مرّة هذه العبارات الثلاث : الله السامي على الكل . الله الاعظم من الكل . الله الاكبر من الكل . وان لا يشتغلوا يومَي الاثنين والجمعة . وان يصوموا يومين في السنة . وان يقللوا من غسل اعضاء التناسل . ولا يشربوا المسكر بل يشربوا ما ارادوا من الخمر . ولا يأكلوا لحوم الحيوانات الضارية .

وبعدما لقنهم تعليماً مثل هذا سقيماً سخيفاً انتقل الى فلسطين وجعل يلقن الناس الجبلة القرويين ثم اختفى من هناك ولم يقف احد على مكانه حتى اليوم.

وفي السنة ١١٩٨ لليونان ( ٨٨٧ م ) برز اندراس الاسقطريق في جيش كثيف وزحف الى بلاد العرب . فلقيه نازمان الحاجب قائد الجيش العربي . فانكسر الروم وسلبهم العرب صلباناً ذهبية وفضية كانت في رؤوس رماحهم.

وفي السنة ٢٧٩ للعرب (٨٩٢ م ) أخرجَ المعتمد على المشعوذين والمنجمين والسحرة الجاوس في قارعة الطريق . وشدّد على باعة الكتب بيع كتب الفلسفة والمباحث والمجادلات الدينية . وفي السنة عينها بالغ الخليفة في شرب الخمر حتى أغمي عليه وعاجلته المنون .

## بعد المعتمد المعتضد بن الموفّق

تولى تسع سنوات وتسعة شهور وكانت خلافته عام ٢٧٩ للعرب (٨٩٢م).

وفي السنة ٢٨٠ للعرب ( ٨٩٣ م ) زحف اسمعيل بن احمد القائد العربي في

جيوشه الى بلاد جرجان وقبض على ملكهم وقتل عامة رجاله وسبى عائلته وأسعد زهاء عشرة آلاف من الاسرى الاتراك وغنم عدداً وافراً من الاغنام والبهائم . وفي هذه السنة حدثت زلزلة ( ١٦٧ ) هائلة دكت مدينة كبرى في الهند الخارجة . وقد نبشوا من تحت تراب الدور المتهدمة مائة وخمسين الف جثة وطمروها .

وفي السنة ١٢٠٧ لليونان ( ٨٩٦ م ) توفي لاون ملك الروم بداء الاسقاء وخلفه ابنه الكسندر سنة واحدة . وقد زاغ قلبه عن الايمان وتشبث بالسحرة والرقاة فضربه الله العادل واعدمه الحياة . وخلفه اخوه قسطنطين اربعة اعوام . وفي اوّل عهده زحف سيميون زعيم البلغار والصقالبة الى قسطنطينية واتلف قرى جمة وحاصر العاصمة واحتفر خندقاً من بلاخرنة حتى باب الذهب . فسيّر اليه ملك الروم يقول : علامَ هذا الخلاف بيننا ونحن باجمعنا مسيحيون ابناء معمودية واحدة . لكن سيميون لم يقتنع بالموادعة فحشد الملك قسطنطين الاسرى العرب الذين في قسطنطينية ووعدهم باطلاق سبيلهم ان ساعدوا الروم في مناوشة البلغار . فأقسموا للملك في ذلك فدفع لهم اسلحة وزحف الروم والعرب معاً باتفاق تام وتغلبوا على الصقالبة وقتلوا الكثيرين منهم وهزموا البقية . غير ان الملك اخلف في وعده واسترجع السلاح من العرب واوثقهم ثانية وفرّقهم في بلاده لئلا يتباهوا او يتفاخروا . على ان البطريرك ميخائيل المغبوط اورد في تاريخه ان هذه الحرب وقعت بين الروم والعرب . اما التواريخ العربية فذكرت انها جرت بين الروم والصقالبة . وهذا هو الصحيح . لانه لا يُعقل ان الروم يُطلقون الاسرى العرب ويمدّونهم بالسلاح ليقاتلوا العرب اخوانهم .

وفي هذه السنة عينها احتشد العرب في بغداد وادّعوا ان خادم ابي غالب النصراني طبيب الخليفة قد شتم نبيهم وحاولوا ان يفتكوا به . فسمع الخليفة المعتضد بما انتووا وجاهر بان العرب كذابون ووجّه الجنود ( ١٦٨ ) فانقذوا الخادم .

وسبق المنجمون فقضوا ان الامطار ستهطل مدراراً في هذه السنة وتفيض

الينابيع وتغرق بغداد وتهلك اهاليها . غير انه منذ فاتحة السنة حتى خاتمتها لم تسقط على الارض نقطة مطر واحدة حتى ان الينابيع جفّت . فاعترى المنجمين الخزي والخجل .

واشتهر في هذا الزمان ابو الحسن ثابت بن قرّة بن مروان بن تيورا بن ابرهيم بن تيورا بن مارينون بن سلومون الصابئ الحرّاني . كان صيرفياً في سوق حرّان ثم أتقن الفلسفة واحكمها وتضلع من اللغات اليونانية والسريانية والعربية . وصنف في العربية زهاء مائة وخمسين كتاباً في الفصاحة والرياضة والفلك والطبّ . وألف في السريانية ستة عشر كتاباً طالعنا نحن اغلبها : منها كتاب شرائع الصابئة وضوابطها . وكتاب تكفين الموتى . وكتاب حقيقة ديانة الصابئة . وكتاب الطهارة والنجاسة . وكتاب في ما يصلح من الحيوان لتقريب الضحايا . وكتاب اوقات الصلوات . وكتاب قراءات ما يوافق كلا من النجوم السبعة في الصلوات . وكتاب التوبة والطلبة . وكتاب الموسيقى . وتاريخ ملوك السريان الاقدمين اعني الكلدان . وكتاب ديانة الصبأ . وكتاب تقسيم ايام الاسبوع على الكواكب السبعة . وكتاب تاريخ مشاهير أسرته وسلسلة آبائه . وكتاب نواميس هرميس وصلواته التي يستعملها الصبأ . وكتاب في ان السطرين المستقيمين اذا ضُبطا على اقل من زاويتين مستقيمتين التقيا معاً . وكتاب آخر في العدد عينه .

ولأبي الحسن خطبة وصف بها حرّان والصابئة ورد فيها ما تعريبه : لقد اضطرّ الكثيرون ان ينقادوا للضلال خوفاً من العذاب . اما آباؤنا فقد احتملوا ما احتملوا بعونه تعالى ونجوا ببسالة . ولم تندرس مدينة حرّان هذه المباركة بضلال الناصرة قطعاً . فنحن هم الوارثون والمورثون للصابئة المنتشرة في الدنيا . فالذي يحتمل برجاء وثيق انتقال الصابئة يُعدّ ذا حظ سعيد . ليت شعري من عمّر المسكونة وابتنى المدن أليس خيرة الصابئة وملوكهم ؟ من أسس المرافئ والانهار ؟ من شرح العلوم الغامضة ؟ لمن تجلّت الالوهية الملقّنة الكهانة والمآلة المستقبلات الّا لمشاهير الصابئة ؟ فهم الذين اوضحوا ذلك كله وكتبوا عن طبّ النفوس وخلاصها . ولقّنوا كذلك

طلّ الاجداد واهملوا الدنيا اعمالاً صالحة وحكيمة هي دعامة الفضيلة . فلولا علوم الصابئة لأمست الدنيا قفراء فارغة متقلبة في الموز . اقتطفنا هذا من تأليف ذلك الرجل كيما نوضح نبوغه في اللغة السريانية . وقس على ذلك تصانيفه في اليونانية والعربية فهي في اتقانها وفصاحتها على اتم ما يرام .

وفي السنة ٢٨٥ للعرب (٨٩٨ م) هبّ هواء أصفر في ناحية الكوفة وتحوّل الى هواء اسود وهطل مطر شديد وحدثت رعود وبروق هائلة مريعة. وهبط ليلة الاحد من الجو حجار سودا. وبيضاء . وسقط في البصرة بَرَد وزن الواحدة مائة وخمسون درهماً . وانقضّ اللصوص العرب على عدّة مراكب رومية واحرقوها مع من فيها من الركّاب وكانوا فيما يقال ثلاثة آلاف نسمة.

وفي السنة ٢٨٧ للعرب (٩٠٠ م) انتقض الوصيف الخصيّ القائد العربيّ في قيليقية وتهيأ للحرب بحرًا . فأمر المعتضد باحراق جميع مراكب العرب. وكان عرب طرسوس يتلصّصون في البحر فاستفاد المسيحيّون من ذلك فائدةً تُذكر. وبعد سنةٍ حدث وباء قتّال في مدن اذربيجان حتى كلّ الاحياء عن دفن الاموات اذ كان الوباء يباغتهم حالاً .

وفي هذه السنة زحف محمّد القائد العربيّ الى بلاد الروم وسبى بعض القرى واستأسر مائة محارب وستّين من الاكليرس قسوساً وشمامسة ( ١٧٠ ) واحتوى على صلبان وامتعةٍ بيعيّة. فحشد الروم جيوشاً ضخمة برًّا وبحرًا وساروا حتى وصلوا الى الكيسوم وأجلوا خمسة عشر الفاً ونيّفاً من العرب رجالاً ونساء وصبياناً. واستاقوا الى بلادهم اغلب المسيحيين على كره منهم لئلّا يعود العرب فيفتكوا بهم.

وفي السنة ٢٨٩ للعرب (٩٠٣ م) توفّي المعتضد وارسل الاقطاب في استحضار ابنه المكتفي من الرقّة وبايعوه بالخلافة.

## بعد المعتضد المكتفي ابنه

تولّى ست سنوات وتسعة شهور. وما كاد يستقلّ في الخلافة حتى أمر ان تُطمّ الأجباب التي حفرها ابوه وجعل يحبس فيها المجرمين . ورُزق ابناً اسمه جعفر نبغ في علم الفلك والتنجيم حتى فاق من سبقه. وجاءه يوماً احد الحجّاب

في كتاب تنجيم وسأله ان ينظر طالع وَلَدٍ وُلد في الدار حديثاً . فتأمله جعفر وقال : ان هذا الولد لا عقل له وسيتناول غذاءه بيده بعد ثلاثة واربعين يوماً ويأكل . ثم قال للحاجب : قل لي الحقيقة ما هذا ؟ قال الحاجب : لستُ أُخفي عليك أني جئتك بطالع فرخ سنور .

وفي السنة ١٢١٣ لليونان ( ٩٠٢ م ) حدث وقت الصيف حادث غريب جداً . ذلك ان الرياح الشمالية عصفت في مدينة حمص وتبعها برد قارس وجمدت المياه واكتسى الناس بالفراء وجعلوا يصطلون بالنار .

وفي السنة ١٢١٨ لليونان ( ٩٠٧ م ) أرسل باسيل الخاجب سفيرًا الى المكتفي خليفة العرب بشأن التبادل بالأسرى وكان معه اربعة اشخاص من الاسرى العرب بمثابة هدية . فرحّب به الخليفة واكرمه . وانتهى التبادل في السنة التالية فكان أسرى العرب ثلاثة آلاف رجالًا ونساء وأُطلق سراحهم وفي هذه السنة وهي السنة ٢٨٩ ؟ للعرب توفّي المكتفي وبويع اخوه بالخلافة .

## بعد المكتفي اخوه المقتدر

تولّى سبعاً وعشرين سنةً وهو في ربيعه الثالث عشر ( ١٧١ ) فندم الاقطاب لانهم بايعوه بالخلافة وهو غير مكتمل العقل والسنّ . واهتمّ العباس احدهم للأمر جدًّا فاجتمع بالاقطاب وقصدوا المعتضد بن المعتزّ وبايعوه وارسلوا إلى المقتدر والى امه ومربّيته وحجّابه في مغادرة البلاط . فغار مؤنس كبير الحجّاب واجتمع بسائر الحجّاب والعبيد الاتراك وتباحثوا وباغتوا الاقطاب وهم محتشدون عند ابن المعتزّ فقتلوا بالعباس وبعض اصحابه واستأسروا بقيّتهم . ثم مضوا بابن المعتزّ الى البلاط وخنقوه ليلًا ودفنوه في الدار عينها فاستقلّ المقتدر بالخلافة .

وفي السنة ١٢٢٠ لليونان ( ٩٠٩ م ) تراكمت الثلوج في بغداد حتى بلغ علوُّها اربع اصابع فوق السطوح . ولم يكن يومئذٍ في بغداد من شاهد الثلج بعينه . وبعد ثماني عشرة سنة وهي السنة ٣١٥ للعرب و١٢٣٨ لليونان ( ٩٢٧ م ) حدث في بغداد عينها برد قارس حتى جمد خلُّ الخمر في الخوابي وقس عليه البيض والزيوت ويبست الاشجار .

وفي السنة ٩٠٩ عينها زحف مؤنس الخاجب في الجيوش العربية الى بلاد

الروم من ثغر ملطية وسبي وغنما وعاد. وفي السنة ٢٩٩ للعرب ( ٩١١ م ) اغار رستم القائد العربي على بلاد الروم من ثغر طرسوس ودرخ حصن مليح الارمني واحرقه. وفي تلك السنة وزع المقتدر على المطربات في بلاطه الف دينار ذهباً وعلى هذا النمط افرغ خزائنه. وجعل العبيد الاتراك يطالبونه بارزاقهم وهو يماطلهم ويعذب الكتّاب واصحاب الاموال اعذبة فادحة ويستنزف اشياءهم. على ان العرب في اوّل امرهم كان النصر حليفهم ولمّا اتّسعت دولتهم ( ١٧٢ ) اخذوا ينتصرون تارة وتارة ينكسرون. وفي هذه الازمنة انهمكوا في الفحشاء والعبارة والنهم فأمسى انكسارهم متواصلاً. وكلما كانوا يحاولون عقد الصلح مع الروم كان الروم يرفضون مؤملين استرجاع اصقاعهم القديمة ولم يكونوا يراسلون العرب إلّا بشأن مبادلة الأسرى فقط.

وفي السنة ٣٠٠ للعرب ( ٩١٢ م ) ولدت في بلاد الهند بغلة شاهد الكثيرون جسمها.

وفي هذه السنة توفي الكسندر ملك الروم وخلفه ابنه قسطنطين وهو في الثانية عشرة من سنه. وفي السنة ١٢٢٧ اليونان ( ٩١٦ م ) زحف جيش رومي الى طرسوس وجيش ثانٍ الى مرعش واستأسروا من العرب نحو خمسين الفاً فشمل الحزن جميع البلاد العربية.

وفي هذه السنة أسلم في بغداد مطران دقوقة النسطوري فاغتمّ النصارى لذلك

وفي السنة ٣٠٥ للعرب ( ٩١٧ م ) وجّه الملك قسطنطين الى الخليفة سفيرَين احدهما شيخ وثانيهما فتىً. ولمّا وصلا الى تكريت تربّثا ثمّ شهرين ريثما زيّن الخليفة المقتدر بلاطه وحشد جنوده واقطاب دولته. ثم ارسل فاستدعاهما اليه. قيل ان العرب اقاموا مائةً وستين الف فارس من ناحيتي الدار التي حلّ فيها السفيران حتى بلاط الخليفة. واقاموا في كلّ من جهتي الباب الخارجيّ خيمانة حصان مسرجة بسروج ذهبيّة وفضيّة. واقاموا في فناء الدار الخارجيّة كثيرًا من الغزلان والنزالات والظباء والايائل. وجعلوا ضمن فناء الدار الثانية اربعة فيلة كبيرة وقد ركب كلًّا منها ثمانية رجال هنود بايديهم آلات نفطيّة ناريّة. واقاموا في محلّ من ناحيتي الفناء الثالث خمسين سبعاً

موثقة بالسلاسل (١٧٣). وقد مرّ السفيران بذلك كلّه حتى انتهيا الى حديقة فسيحة فيها حوض ماء من قصدير ابيض كأنّه فضّة تُطلّ فوقه شجرة شاهقة مصوغة من الفضّة واغلب اغصانها واوراقها مذهّبة وهي تتمايل كلّما هبّ النسيم فيها. وقد جثمت فوقها طيور ذهبية وفضّية تطير بواسطة خيوط متّصلة بالارض وتغرّد تغاريد رخيمة. وفي الحديقة كذلك اشجار نخل مرصّعة بالواح سرو حتى اغنانها وقس عليها كثيرًا من شجر الاترنج. ومن هذه الحديقة مضوا بالسفيرين الى دار فسيحة دُبّجت جدرانها بسجوف فاخرة عُلّق فيها الوف من الدروع والتروس والاقواس والرماح. قيل ان عدد السجوف المعلّقة في الجدران بلغ اثنين وعشرين الف سجف. هذا سوى الطنافس التي فُرشت في الارض ووطئتها الاقدام. ثم سار السفيران في جادّة طويلة اصطفّ في جانبها الواحد الف من الحجّاب البيض وفي الجانب الثاني الف من الحجّاب السود وهم مدجّجون بالأسلحة. ولمّا دخل السفيران باب الدار شاهدا الوزير الاعظم جالساً على كرسيّ عالٍ يحيط به الفقهاء والأعيان واقفين. فظنّا انه هو الخليفة فقيل لهما بل هو الوزير. ومن عند الوزير دخلا غرفة الخليفة وشاهداه مستوياً على عرش من الابنوس بشكل مقبّب في كلّ من قرنيه تسعة صنوف من الجوارة الكريمة تبرق. وحوله خمسة بنيه ثلاثة الى يمينه واثنان الى يساره. قيل ان السفيرين جلسا يستريحان سبع مرّات حتى وصلا الى غرفة الخليفة. ولمّا وصلا سلّما عليه باحناء الرأس وقالا للترجمان: كان الخليق بنا ان نقبّل الارض بين يدي الخليفة ولكننا اغمضنا عن ذلك لئلّا تضطرّ دولة الروم سفيركم بمثل ذلك. نقول هذا لئلّا تحسبونا دون تهذيب وأدب.

وبعدما انهى السفيران سفارتهما كان (١٧٤) الجواب حاضرًا ومدوّنًا. وقد دفعه الخليفة لهما وأطلقهما. وأمر ان يؤدّوا لكلّ منهما عشرين الف درهم. ثم وجّه معهما سفراء من قبله في مائة وسبعين الف دينار ذهباً فدًى للاسرى العرب وكانوا اكثر جدًّا من الأسرى الروم. غير ان ملك الروم بعد وصول السفراء أبى مبادلة الاسرى او بيعهم.

وفي السنة ٣٠٨ للعرب (٩٢٠ م) ضجّ الشرط في بغداد وحطموا باب

سجن وأضطروا المحرمين وتحاملوا على المسيحيين ونهبوا دار عبد الله بن شمعون الطبيب وغيرها من دور الكتاب المسيحيين . فحشد الحاكم جنوداً مسلحين قبضوا على اللصوص وشنقوهم وقطعوا ايدي رفاقهم .

وفي السنة ٣٠٩ للعرب ( ٩٢١ م ) ألقي القبض على درويش عربي في بغداد يقال له الحلاج ادّعى انه الاه متجسم وصار يتظاهر بانه يخترع العجائب . فأمر الخليفة بصفعه الف قضيب ثم قطعوا يديه ورجليه وأحرقوا جثته وعلقوا جمجمته في رمح طافوا بها في بغداد وفي فارس .

وفي السنة ١٢٣٨ لليونان (٩٢٧ م) زحف جيوش الروم الى سيساط ونصبوا خيمة الملك في مسجدها الكبير وقرعوا فيه النواقيس وسبوا وانقلبوا عائدين . فطاردهم العرب وردّوا بعض الغنائم وقبضوا على نسيب ملك الروم وذهبوا به مأسوراً الى بغداد .

اما مؤنس الخاجب الذي أبلى البلاء الحسن في حروب جمة حتى لقب المظفر فقد شعر بانتقاض الخليفة عليه وتخوّف غدره وجعل يتحفظ منه . وما ان ظهرت البغضاء حتى حالفه الاقطاب واغلب الضباط وشجعوه قائلين : ما لك خائفاً . ثق باننا ندافع عنك حتى تذرّ لحيتك اعني دائماً (١٧٥) . ولما وقف المقتدر على الدسيسة شمله الذعر وارسل يقول لمؤنس : انك انت ولّيتني الخلافة وأقسمت لي . فاذا اخلصتَ لي النية فاني قسماً بالله تعالى لن أحسب لك ذنباً . والّا فاذا نويتَ الخلاف فاني الوذ بالله عزّ وجلّ ولست افتكر في مناهضتك البتة . لكن مؤنس لم يقتنع بالمواعدة بل ارسل فاحضر الخليفة قسراً وحبسه في بيته واخرج محمد بن المعتضد من السجن وحلف له واسماه القاهر وبعث فاجلسه على العرش .

ولما رأى حشم الخليفة انهم سيُعزلون وينوب غيرهم منابهم استلوا السيوف وفتكوا بالزعماء . اصحاب القاهر سوى مؤنس وهو في بيته . ثم قبضوا على القاهر ونادوا بأعلى أصواتهم قائلين : فليحيَ الخليفة المقتدر . ثم غادروا البلاط والتف حولهم اهل المدينة وقصدوا دار مؤنس وأخرجوا المقتدر وذهبوا به تكراراً الى البلاط . ولم يتمكنوا من التعدي على مؤنس لانهم كانوا يهابونه جداً .

اما المقتدر فارسل ثانيةً الى مؤنس يسأله المصالحة . لكن مؤنس لم يثق

به بل سارع الى الموصل وحشد العساكر وانقلب الى بغداد . عند ذلك كتّب المقتدر الكتائب وبرز لمناوشة مؤنس فانكسر المقتدر وقُتل وعُلقت هامته في راس رمح وتمّ ذلك في السنة ٣٢٠ للعرب ( ٩٣٢ م ).

وكان في عهده سنان بن ثابت الحرّاني راس الاطباء . ولم يكن يطبب احدٌ في بغداد دون أمره . ومن اخباره المشهورة انه جاء اليه يوماً طبيب شيخ ذو هيئة مليحة . فرحّب به سنان واكرمه على موجب منظره الخارجي . ولما اراد سنان ان يمتحنه ويفحصه اخرج الشيخ صرّة فيها كمية صالحة من الذهب وقال لسنان : صدّقني اني لستُ أحسن الكتابة ولا اعرف القراءة . ولي عيال كثيرة تعيش من مهنتي . فرجائي ان لا تحرمهم ما يرزقهم الله (١٧٦) الكريم . فضحك سنان وقال له : على شريطة ان لا تتعاطى معالجة الامراض العضالة ولا تفصد نبض احد ولا تسقي احدًا دواء مسهلًا . فحلف الشيخ وقال له : اني ما تعدّيتُ السكنجبين وما يشبهه . فرخّص له سنان ان يطبب .

وفي يوم آخر قصد سنان طبيبٌ ثانٍ مليح الوجه فسأله سنان : على مَن قرأتَ الطبَ ؟ فقال : على ابي . قال سنان : ومَن هو أبوك ؟ قال الشاب : الشيخ الذي كان عندك بالامس . فضحك سنان وقال له : اذهب بسلام واحفظ ما شرطته على ابيك . وهذا سنان اراده الخليفة الظاهر على الاسلام فأسلم قسرًا وترك مذهب الصائبة .

## بعد المقتدر القاهر

تولى سنةً واحدة وستة اشهر . بعد ما قُتل المقتدر اشار مؤنس على ارباب الدولة ان يبايعوا أبا العباس ابن المقتدر وقال لهم : ان صنعتم هذا خففتم وطأة الحزن عن امه وجدّته واخت جدّته وحريمه وجملتهنّ ان يُخرجن ما عندهن من الذهب دون مشقة . لكنّ الاقطاب اعترضوا عليه وقالوا : حسبنا النساء . فقد حدث لنا ما حدث مع من كانت له أمٌ فقط فما تكون الحال مع مَن له أم وجدّة ؟ ثم اتفقوا جميعاً وبايعوا محمد بن المعتضد بالخلافة ولقبوه القاهر . وقد عذّب القاهر ام المقتدر ونكّل بها فعلّقها برجلها الواحدة وجعل يصفعها بيده على المواضع الغامضة من بدنها يريدها على إظهار الذهب . فلم يكن عندها اكثر

مما وجده قبل صفعها . ثم صادر كل ما كان عند اولاد المقتدر وعند امهاتهم من الذهب . قيل ان ام المقتدر سبقت فاصطنعت عند القاهر صنائع جليلة وافرة يوم كان مسجوناً في البلاط اذ كانت تُدخل اليه الطعام والشراب والاطايب والجواري . وكثيرًا ما كانت تُخرجه من سجنه وتُجلسه في مكان يشرف منه على ولائم ابنها ويستمع (١٧٧) اصوات الغناء والطرب . ولكنه لما تولى الخلافة قابلها بمثل هذه المعاملة الشائنة .

اما مؤنس واحزابه فعلى تعوّدهم استحقار الخلفاء خافوا على انفسهم فاتخذوا جميع حرّاس البلاط من رجالهم وقضوا ان يفتّش كل من يدخله وجلّا ام امرأة لئلا يأتي احد برقعة الى الخليفة تتعلق باحوالهم . وبلغ بهم التحفظ حتى انهم لما حُمل الى القاهر يوماً قدرٌ مملوء لبناً مدّوا فيه ايديهم ليفتشوه . ولذا اوقع الله العادل اختلافاً ما بين الجنود وبين مؤنس وسائر الاقطاب وانهزموا الى البرّية . فانتهز القاهر الفرصة وفتك بهم قاطبة واستتبت له الخلافة . ثم أخرج من البلاط جميع مَن سبقوا فابتاعوهم من مطربين ومطربات وعبيد وجوار وباعوهم من التجار دون قيد او شرط يمنعهم عن الغناء . وقضى القاهر على الكثيرين من الزعماء والعظماء بالضرب وابتزاز الاموال حتى أصبح الباقون خائفين كأنّهم على قوسَي قاب . وجعلوا يأتمنون العجائز والشيوخ ليقصّوا على العامة اخبارًا ملفقة تتعلق بعبيد القاهر الذين كانوا يحرسونه ليل نهار وبقرّاده وضباطه مؤدّاها الحذر من الخليفة لئلا يهلكهم . ثم لقنوا المنجمين والسحرة كي يقولوا اذا سُئلوا ما قالوه هم . ولما استيقنوا تأهب القاهر للتنكيل بهم باعتزه ليلة وهو سكران وفقأوا عينيه كلتيهما ولاذوا بالفرار . وتمّ ذلك عام ٣٢٢ للعرب (٩٣٣م) وشوهد القاهر بعد اعوام يقوده رجل وهو يستعطي على باب المسجد الكبير .

## بعد القاهر الراضي بن المقتدر

تولى ست سنوات وعشرة شهور . وقد فكّه الاقطاب من سجنه وبايعوه بالخلافة . ويقال انه هو الذي أمر (١٧٨) ان تفقأ عينا القاهر . وفي السنة ٣٢٣ للعرب (٩٣٤م) حدث حريق هائل في بغداد بجوار الكرخ أتلف بضائع وافرة ودورًا كثيرة . فأمر الراضي ان يؤدّوا من خزائنه ثلاثة آلاف دينار للتجار الذين

تلفت بضائعهم وعشرة آلاف دينار الذين خربت بيوتهم كي يجدّدوا بنيانها. وبعد قليل هبطت كذلك نار في ذلك الجوار. وفي السنة عينها تراكمت الثلوج في بغداد.

وفي السنة ١٢٤٩ لليونان (٩٣٨م) مرض قسطنطين ملك الروم وشعر بدنو الاجل فاستدعى رومانس صهره ووضع له تاج المملكة بيده. وفي السنة ٣٢٦ للعرب (٩٣٧م؟) وجّه الملك سفيرًا الى الراضي في رسالة دُوّنت بالرومية بحروف ذهبية وكُتب شرحها بالعربية بحروف فضية شفعها بهدايا ثمينة وآنية ذهبية وفضية مرصعة بحجارة كريمة. وهذه فاتحة الرسالة: «من رومانس وقسطنطين واسطفانس وقسطنطين ملوك الروم العظام الى فخامة سلطان المسلمين المعظم سلام. بما اننا ثابتون على مودّتك ثباتاً وطيدًا فقد وجّهنا سفيرنا في بعض الهدايا توطيدًا لرغبتنا في مودّة اخوّتك واثقين بانك تتقبل ذلك بكل طيبة خاطر». الى غير ذلك من الكلمات المسهبة الداعية الى الصلح والوئام.

رحّب الخليفة بالهدايا ووجّه هو كذلك سفيرًا في هدايا وحمّله رسالة افتتحها بقوله: «من عبدالله ابي العباس الراضي إمام الدين امير المؤمنين الى رومانس وقسطنطين واسطفانس وقسطنطين زعماء الروم سلام. رحّبنا بهداياكم ووجّهنا اليكم طبقاً لرغبتكم سفيرنا فلانًا تكريمًا لكم وتأييدًا لعقد الصلح».

ولما جلس رومانس ملك الروم أقبل سيميون البلغاري ثانيةً الى قسطنطينية وأحرق بلاد تراقية ومقدونية وأتلفها. وحاصر ادريانوبوليس ودوخها. فتذرّع رومانس بشتّى الذرائع والهدايا حتى صالحه. وكتب سيميون يريد مواجهته تأييدًا (١٧٩) للصلح. فأعدّ الملك مكانًا ملائمًا في البحر وتقابلا في المراكب وأيّدا عهود المحبة التامة بينهما.

ولما اطمأن الروم في بلاد المغرب وجّهوا أنظارهم نحو المشرق فزحفوا عام ١٢٥٣ لليونان (٩٤١م) ووصلوا الى كفرتوث وغزوا البلد كله وانقلبوا عائدين. وفي السنة ٣٢٩ للعرب (٩٤٠م؟) تفاقمت الامراض على الخليفة الراضي وبذل سنان ابن ثابت الجهود في معالجته فلم يستفد. وكان للخليفة المشار اليه مملوك تركي اسمه زيرك وفي هذه السنة وعك ومات. فبلغ الكمد من الخليفة حتى انه أمر بالقاء اربعمائة خابية من الخمر العتيقة الممتازة في دجلة حدادًا عليه وما تمّ ان توفي هو كذلك.

## بعد الراضي المتقي بن المقتدر

تولى ثلاث سنوات وشهرًا واحدًا . وفي السنة ٣٢٩ للعرب (٩٤٠م) وهي السنة الاولى لخلافة المتقي حدث غلاء شديد في بغداد حتى بيع كور الحنطة بمائة وثلاثين دينارًا ذهباً . وأكل الناس النخالة والعشب. وحدث كذلك وبا. فظيع حتى انه دُفن في قبر واحد عدة من الموتى دون صلاة. وفاض نهر دجلة وأتلف دورًا كثيرة واشجار نخل وافرة وغير ذلك .

وفي السنة ٣٣٠ لليونان (٩٤٢م) زحف الروم كذلك الى قيليقية وأجلوا من بلد حمشوش خمسة عشر الف نسمة واحرقوا القرى وانطلقوا . واشتدّ الجوع في بغداد حتى بيع كور الحنطة بمائتين وعشرة دنانير ذهباً . وبلغ سعره ثلاثمائة وسبعة عشر دينارًا ذهباً . وأكل الناس جثث الموتى . وانغلق جسر بغداد وغرق خلق كثير في دجلة. وفي القابل وصل الروم الى ميافرقين وارزن ونصيبين وأجلوا خلقاً كثيرًا واحرقوا الضياع وانصرفوا .

وفي السنة ٣٣١ للعرب (٩٤٢م) وجّه ملك الروم سفيرًا الى الخليفة المتقي يطلب المنديل الذي في بيعة الرها وهو الذي مسح به ربنا يسوع وجهه وصارت صورة وجهه فيه وسيّره (١٨٠) الى الجرّ الذي كان يروم ان يشاهده . ووعده إن أرسل المنديل اليه أطلق عددًا غفيرًا من الاسرى العرب . فاستفتى المتقي فقهاء المسلمين في هل يجيز الشرع ان نعطي المنديل للمسيحيين ام لا ؟ فقالوا : اجل يُفرَض علينا فرضاً لازباً ان نتبرّك بهذا المنديل . غير انه يجب التخلي عنه للروم انقاذًا للمسلمين المتقلبين في العوز والجوع والعري .

وفي هذا الزمان اشتدّ القائد توزون في بغداد حتى خافه الخليفة المتقي وانهزم الى الرقّة في نسائه وعبيده واقام بها مدةً . فارسل اليه توزون يعاتبه بسبب انزعاجه عن كرسيه وأقسم له بالأمان حتى اغواه وحمله على العودة الى بغداد وسار الى استقباله في حشد من الجنود . ثم نزل وقبل الارض بين يديه ومثل امامه راجلًا . واضطرّه الخليفة ان يركب. ولما كان توزون الخائن مضمرًا الغدر بالخليفة اشار الى اصحابه فاحاطوا به وبحاشيته حتى وصل الى باب البلاط فاستلّوا السيوف وارادوه على التنزّل عن الخلافة والّا فتكوا به.

فاضطر الخليفة ان يمتثل الأمر واشهد عليه الشهود . وبعد هذا مضوا به الى البلاط وحبسوه وأحضروا عبد الله بن المكتفي وبايعوه بالخلافة ولقبوه المستكفي وتمّ ذلك في السنة ٣٣٣ للعرب (٩٤٤م) .

## بعد المتقي المستكفي بن المكتفي

تولى سنةً واحدةً واربعة اشهر . وبرز في عهد خلافته شعوب مختلفة من عيلاميّين وصقالبة وغزّ ووصلو الى اذربيجان ودوّخوا مدينة بردعة وقتلوا زهاء عشرين الف نسمة وانصرفوا . وتغيّر الاقطاب على المستكفي فقصدوا نحوه يوماً كمألوف العادة وهو مستوٍ على عرشه وجثوا على الارض امامه وقبّلوا يده ووقفوا . ولما تمّ عددهم وافى آخرهم وقبّل الارض ودنا من الخليفة فمدّ له يده متوهماً انه سيقبلها لكن الجاني قبض عليها (١٨١) واجتذبها وزحزح الخليفة عن عرشه وبطحه على وجهه وازدحم رفاقه على الخليفة واخرجوه ماشياً من البلاط ومضوا به الى دار معزّ الدولة القائد وحبسوه . واستدعوا الفضل بن المقتدر وبايعوه وكنوه المطيع .

## بعد المستكفي المطيع بن المقتدر

تولى تسعاً وعشرين سنة وخمسة اشهر . ولما بايعوه بالخلافة استدعوا المستكفي فسلم عليه وجاهر بتنزّله له عن الخلافة وانزوى في البلاط . وفي السنة الاولى لخلافة المطيع وهي السنة ٣٣٤ للعرب (٩٤٥ م) تحرّش ناصر الدولة ابن حمدان صاحب الموصل بمعزّ الدولة الذي ولّى المطيع الخلافة . واحتلّ الناصر جهة بغداد الشرقية واحتلّ المعزّ جهتها الغربيّة . ثم قوي المعزّ واحتلّ الجهة الشرقية وانهزم الناصر الى نواحي الموصل . واستحوذ الهلع على اصحابه في تلك الجهة وتخوّفوا سيف المعزّ فبادروا الى الهزيمة نحو الموصل رجالاً ونساء . وقضى الكثيرون في الطريق بسبب ما انتابهم من العطش والحرّ ولا سيّما النساء غير المتعوّدات المسير . وشوهدت امرأة نبيلة بجانب الطريق متشحة بثياب فاخرة وبيدها صرّة تقول قائلة : خذوا اربعمائة دينار واسقوني جرعة ماء . فلم يكترث لها احد ولم يتقدم ليأخذ الصرّة مجاناً من يدها . اذ كان كلّ واحد مهتماً بالهزيمة لا غير . وقد باد في تلك الهزيمة عشرة آلاف نسمة . ولمّا سمع

المعزّ بما صار نادى بالامان وبعث بالماء الى المنهزمين واعادهم الى بغداد . قيل ان البغداديين لم يشاهدوا كارثة كتلك الكارثة . وكان يومئذٍ في بغداد رجل معتوه يتحدّث بالمستقبلات كيفما كان فسبق ينادي في الازقة ويقول : عاوا نساءكم يا اهالي بغداد ان يعشين حافيات وعوّدوهنّ الشقاء . لان البلاء قريب !

وفي هذه السنة حدث غلاء شديد في بغداد ( ١٨٢ ) وبيع كور الحنطة باربعمائة دينار ذهباً والف رطل بغداديّ من التمر بستّين ديناراً . وكانت الدور والكروم والحدائق تباع بلقم وارغفة من الخبز . وكان البعض يلتقطون حبّات الشعير من زبل الخيل والجحاش ويلتقمونها . وشوهدت نساء كثيرات يشوين اولادهن في التنور ويأكلنهم . فصدرت الاوامر بقتلهنّ . وقضى الكثيرون جوعاً وأكلتهم الكلاب اذ لم يكن مَن يدفنهم .

وفي السنة ١٢٦١ لليونان ( ٩٤٩ م ) وهي السنة ٣٣٧ للعرب زحف الروم الى سوريا ولاقاهم سيف الدولة امير حمص وحلب فانكسر سيف الدولة واحتلّ الروم مرعش ووصلوا الى طرسوس وقتلوا وغزوا وانصرفوا . وفي السنة ٣٣٩ للعرب ( ٩٥١ م ) حشد سيف الدولة ثلاثين الفاً من الخيّالة والرجالة وزحف الى بلاد الروم وغنم غنيمة وافرة . ولمّا رجع أدركه الروم وأغلقوا عليه المضايق وقتلوا واستأسروا جميع عسكره واستردّوا الغنيمة . وهلك رجال سيف الدولة وخيله وبناله وخزائنه واملاكه ولم يفلت الا في عدد يسير .

وفي هذه السنة نُقل الحجر الأسود الذي كان الحجّاج يتبرّكون به في مسجد مكة وقد ظلّ ثلاثاً وعشرين سنةً بيد القرامطة الخوارج في الجنوب . فقبضوا خمسين الف دينار وردّوه الى مكانه مكسوراً قطعتين فلصموها بقضبان فضّية حتى يومنا .

وفي هذا الزمان حدث رخص وافر حتى بيع عشرون رطلاً بغدادياً من الخبز بدرهم واحد .

وفي السنة ١٢٦٨ لليونان ( ٩٥٧ م ) وهي السنة ٣٤٥ للعرب أجّر الروم الى طرسوس واحرقوا ضياعاً كثيرة وفتكوا بالف وثمانمائة من العسكر العربيّ وانطلقوا . ثم حشد سيف الدولة عساكره وزحف الى بلد الروم ووصل الى خرشنة وسبى واحرق وقتل . ثم توجّه الى مدينة آطنة بقيليقية ( ١٨٣ ) واقام

فيه ايضاً وحرض امير طرسوس ليناوش الروم وعاد الى حلب. فتتبعه الروم من ناحية اخرى ووصلوا الى ميافرقين وغنموا وأجلوا اهاليها واحرقوا الضياع وانصرفوا.

وفي السنة ٣٤٦ للعرب ( ٩٥٨ م ) ظهر جراد كثير أفسد الزروع. وحدث وبا داء الحوانيق حتى ان سارقاً باغته الموت وهو ينقب بيت احد اغنياء بغداد. وذكر عن قاض لبس ثيابه السردا. ليخرج الى دار الحكم كالوف عادته ولبس حذاء رجله الاول فدهمه الموت قبل ان يلبس الحذاء الثاني. وهبطت أمطار كثيرة في الشتاء. وحدث خزرٌ في البحر المتوسط نحو ثلاثمائة ذراع وانكشفت جبالٌ وجزائر كثيرة مجهولة منذ القِدَم. وحدثت بعد سنة زلزلة هائلة قوّضت اماكن شتّى واختنق الكثيرون تحت الردم في جبال الديلم وقاشان.

ووصل الروم الى آمد وارزن وميافرقين واحتلوا حصوناً كثيرة وفتكوا بالف وخمسمائة نسمة. ثم زحفوا بعد ايام وجيزة الى جبات حلب ولاقاهم سيف الدولة عند دلوك فانتصر الروم واستأسروا انسباءه واقرباءه وقتلوا اغلب رجالته ولم يفلت منهم الّا اليسير. ودوّخ الروم كذلك سميساط واحرقوها.

وفي السنة ٣٤٧ للعرب ( ٩٥٩ م ) أغمض ناصر الدولة امير الموصل عن ارسال مال الخراج الى بغداد فزحف اليه الامير معزّ الدولة من بغداد. فانهزم الناصر الى نصيبين فلحقه معزّ الدولة ففرّ الى ميافرقين ولم يمكث بها فاقبل الى حلب مستنجداً اخاه سيف الدولة. فرحّب به وتذلّل له حتى توصل ان يخلع له حذاءه بيده (١٨٤).

وفي السنة ٣٤٨ للعرب ( ٩٦٠ م ) قبض الروم على محمد بن ناصر الدولة وعلى بعض عبيده ببلد حلب وعلى ابي الهيثم القائد وعلى عبيده في كفرتوث. واقبلوا الى بلد طرسوس وقتلوا واسروا الكثيرين. ودوّخوا قلعة الهارونية وفتكوا بمن فيها واخربوها وأجلوا النساء والصبيان.

وفي تلك السنة وهي السنة ١٢٧٢ لليونان (٩٦١ م ) توفي الملك قسطنطين وخلفه ابنه رومانس فعامل اقطاب الحكومة والاعيان افضل معاملة وأبدى للجميع المروءة والشهامة ووجّه في السنة عينها ابولنيش شومشكين القائد ونيقيفور

الدمستق الى بلاد العرب فسارا الى آمد وفتكا بثلثة محارب وقبضا على ثلاثين رجلاً وأحرقا الغلال وانقلبا راجعين . فحشد سيف الدولة امير حلب ثلاثين الفاً وزحف الى خرشنة وسبى سبية وافرة . ولما اعتزم الرجوع اخذ الروم عليه المضايق فلم يتيسر له النجاة الا بثلاثمائة من عبيده ليس غير . اما بقيتهم فمنهم من قتلهم الروم ومنهم من قبضوا عليهم واسترجعوا الغنائم واحتووا على خيل سيف الدولة بن حمدان وعلى سلاحه وخزائنه . وقُتل من مشاهير رجاله في هذه السنة حامد بن نمس سباخان وابو حصين القاضي .

وفي هذه السنة ظهر جراد كثير ببلد الموصل وحدث غلاء وجوع وبيع كور الحنطة بالفين ومائتي درهم . وكور الشعير بثمانمائة درهم . وانهزم الكثيرون الى سوريا وبغداد وسار المسيحيون الى مدن ساحل البحر . وفي هذه السنة تأسست في طرابلس كنيسة فخمة تيمناً باسم مار بنام الشهيد المجيد .

وفي السنة (١٨٥) ٣٤٩ للعرب (٩٦٠م) لما كان الحجّاج المصريون عائدين من مكة ونازلين في مكان لم تجرِ فيه المياه منذ امد بعيد فاض غدير مياه ليلاً وهم راقدون وجرفهم باجمعهم مع اثقالهم وزجّهم في البحر المتوسط وأهلكهم قاطبة .

وفي هذه السنة جاهر بالاسلام نحو مائتي الف من خيام الاتراك في المشرق .

وفي السنة ٣٥٠ للعرب (٩٦١ م) خرجت قافلة عربية كبيرة من انطاكية متوجهة الى طرسوس فانقضّ عليها كمناء الروم وقتلوا البعض واستأسروا اغلبهم . فثار العرب وزحف نجا عبد سيف الدولة الى بلد الروم من ناحية ميافرقين وغنم غنائم وافرة مع الفي نسمة اوثق منهم خمسمائة ومضى بهم .

وفي السنة ١٢٧٤ لليونان (٩٦٣م) وهي السنة ٣٥١ للعرب وصل نيقيفور الدمستق في مائة وستين الف فارس الى قيليقية وحاصر عين زربة وحاربها حرباً شديدة حتى أيس اهاليها العرب من مساعدة تأتيهم وطلبوا الأمان على حياتهم وعلى اموالهم ليسلّموا القلعة . خصوصاً لانهم شاهدوا الروم كادوا يخرقون السور الذي بجانب الجبل . فدخل نيقيفور وعرف انهم كانوا على وشك احتلال البلد دون عناء . فندم على ما فات وامر ان يجتمع الاهالي قاطبةً في

المسجد وان من يتخلف يؤخذ رأسه . وعند الصباح دخل الروم المدينة راجلين وفتكوا بكل من وجدوا في البيوت والشوارع رجالاً ونساء وصبياناً وجمعوا من السلاح اربعين الف درع سوى السيوف والقسي وقطعوا اربعين الف شجرة نخل .

ثم أمر نيقيفور ان يخرج جميع من في المسجد ويذهبوا حيثما شاؤوا ومن بقي حتى المساء يُقتل . فخرجوا ( ١٨٦ ) يزحم بعضهم بعضاً وهلك بالزحمة جماعة من رجال ونساء وفتيان وقضى البقية في الطريق وهم مازون على وجوههم لا يدرون اين يذهبون . ثم قوّض نيقيفور المسجد وذلك سوري المدينة ودورها . وظل اثنين وعشرين يوماً في قيليقية وذوّخ اربعة وخمسين حصناً بعضها بالسيف وبعضها صلحاً .

قيل لما خرجت النساء الغربيات من احد الحصون صلحاً تخرّش بعض الارمن فغار رجالهن واستأوا السيوف . فسخط نيقيفور الدمستق على المعتدين . ثم فتك الروم باربعمائة رجل وبعددوافر من النساء . وارتحل نيقيفور ومن معه الى قيسارية بسبب ذنر الصوم الاربعيني على ان يعود بعد العيد .

اما القائد العربي في طرسوس فحشد اربعة آلاف مقاتل وزحف الى بلاد الروم فانكسر وهلك هو وكل من معه وفي جملتهم اخو ابن رباب قائد عسكر طرسوس . ثم زحف الروم ثانيةً الى قيليقية وذوّخوا قلعة سيس واقاموا محافظين فيها وفي سائر القلاع وتركوها وانصرفوا الى حلب . فبرز سيف الدولة لمناوشتهم فانكسر وهلك جميع بني حمدان ولم يفلت الا سيف الدولة مع القليلين . واحتل الدمستق قصره الذي في ظاهر المدينة واستحوذ هناك على ثلاثمائة وتسعين وزنة فضة وعلى اثنين واربعمائة بغل وعلى اسلحة جمة واحرق القصر . ثم حاصر المدينة وأحدث ثغرة في سورها ودخل الروم وظلوا يقتلون حتى كلوا وصادفوا فيها الفاً ومائتي رومي مأسورين فاطلقوهم وأجلوا اكثر من عشرة آلاف فتى وفتاة وحملوا ما استطاعوا من الغنائم واضرموا النار بالبقية . وقصدوا آبار الزيت وافرغوا فيها المياه حتى طفا الزيت واندلق واندلف على الارض وزال . ثم قوّضوا المساجد وظلوا يدمّرون ( ١٨٧ ) تسعة ايام .

ولما عولوا على الرحيل تقدم ابن اخت الملك رومانس وعارض نيقيفور وقال : لن ترحل قبل ان نفتح القلعة . ولم يرَ نيقيفور ان يقاومه بل قال

له : اليك القلعة اذهب واحتلها . ولما دنا ابن اخت الملك من بابها القوا عليه حجرًا من النافذة التي فوق الباب فالتفت لينهزم ففتح اصحاب القامة الباب وطارده رجل ديلمي اسمه باشا وطعنه بالرمح بين كتفيه وانفذه من صدره وقتله . فعاد من كان معه وحملوا الجثة ومضوا بها الى نيقيفور فتأثر كل التأثر وانتقم لابن اخت الملك بان قتل رؤوس الف ومائتين من الاسرى العرب الذين معه وترك البلد وعاد الى العاصمة ولم يعبث في قرى حلب اصلًا بل أوصى الفلاحين ان يدمنوا فلاحة اراضيهم معتقدًا ان البلاد هي للروم ومؤملًا العودة اليها .

وسار آنئذٍ الف ارمني الى اطراف الرها وغنموا الف خروف وخمسمائة ثور وعشرة رجال عرب وانقلبوا راجعين . ولما قويت شوكة الروم وعولوا على الرجوع تخوف اهالي ارمينية الكبرى وهم مسيحيون ان يأتي العرب وينتقموا منهم فانهزموا الى الحدود واستوطنوا سبسطية قبدوقية وفوا هناك غوًا واقرًا . ثم اقامهم الروم في حصون قيليقية التي انتزعوها من العرب . وجعل الارمن الرجالة يقاتلون بجانب الروم في كل الحروب ويحرزون النصر والغلبة .

ولما عاد نيقيفور في جيوشه من حلب وبنسوا سيمنادو باغتهم نعي الملك رومانس وأجمع الاقطاب مع شوشكين على المناداة بنيقيفور الدمستق ملكًا عام ١٢٧٥ لليونان ( ٩٦٤ م ) ( ١٨٨ ) . ولما دخل قسطنطينية وتوج ملكًا نصب شوشكين دمستقًا ووجهه الى مناوشة العرب . فزحف الى المصيصة وحاصرها سبعة ايام واجرى في سورها ستين ثغرة بنيف وتعذر عليه امتلاكها فاحرق ما حولها وحول اطنة وطرسوس . ثم انصب الروم على خمسة آلاف كانوا قادمين من طرسوس ليساعدوا اهل المصيصة واتلفوهم قاطبة وانصرفوا .

وحدث غلاء شديد في قيليقية وانهزم اغلب اهاليها العرب الى دمشق . وانتشر الغلاء كذلك في حلب وحران والرها . وزحف الدمستق في القابل الى قيليقية وحاصر المصيصة ثلاثة اشهر فامتنعت عليه . فضرب الجزية على اهاليها وانصرف بسبب فشو المرض والموت في عسكره .

وفي السنة ١٢٧٦ لليونان ( ٩٦٥م ) وهي السنة ٣٥٤ للعرب غادر نيقيفور الملك قسطنطينية الى قيسارية قبدوقية وحاصرها . ووجه اليه اهالي طرسوس

والمصيصة رسالةً في التسليم . فاردرى بهم وقال لمندوبهم : انكم بعد ما قطعتم الرجاء من مساعدة ملوككم العرب واكلتم الكلاب الميتة بسبب الجوع وأتلفكم الوبا. اقبلتم ترومون التسليم والصلح ريثما تستجمعون قواكم وتعودون الى العصيان . كلّا . ليس لكم عندي الا السيف . قال هذا وطرد المندوب بعدما احرق الرسالة على رأسه واحترقت لحيته .

قيل ان العرب كانوا يشيّعون كلّ يوم ثلاثمائة جنازة في طرسوس . واذ ذاك حشد نيقيفور جنوده وتوجّه الى المصيصة وشدّد عليها الحصار حتى دوّخها يوم السبت ١٣ رجب من تلك السنة وأجرى بها مذبحة عظيمة . وقبض على مائتي الف من رجال ونساء وفتيان وسيّرهم الى بلاد الروم . ثم توجّه الى طرسوس وحاصرها . فتوسّل اليه الاهالي وهم يبكون ليعفو عنهم فيفتحوا له الابواب (١٨٩) فتأثر الملك لبكائهم واعطاهم الامان على حياتهم وعلى اموالهم. ودخل المدينة واستدعى عظماء العرب وأعدّ لهم الطعام على مائدته ورخّص لهم ان يأخذوا ما استطاعوا من اموالهم وأسلحتهم ووجّههم الى انطاكية . وخيّر البقية الباقية في الذهاب الى حيث شاؤوا . وسيّر معهم ثلاثة بطارقة ليحرسوهم في الطريق ويدفعوا عنهم كلّ تعدّ . واتفق بعض الارمن فتعدّوا على العرب فسخط الملك وأمر بقطع ايديهم ومناخيرهم وصفعهم صفعات اليمة . وبعث المحافظين واوصاهم ان يوصلوا العرب الى اصحابهم سالمين . اما مسجد طرسوس فقد حوّله الملك اصطبلاً لدوابه واقام لها بطريقاً مع خمسة آلاف فارس ونصب بطريقاً ثانياً في المصيصة. وقد عمّرت طرسوس بالاهالي واستفحل الرخص فيها حتى بيع اثنا عشر رطلاً خبزاً بدرهم واحد . وعاد اليها الكثيرون من اهاليها العرب واعتمد بعضهم وتنصّروا وبقي البعض الآخر على ما كانوا. غير ان اولادهم تنصّروا جميعاً .

وفي السنة التالية وصل نيقيفور الى آمد وحاصرها ولم يتمكن من الاستيلاء عليها . ثم انطلق الى انطاكية وحاصرها اياماً كثيرة فامتنعت عليه فاخرب الدساكر والحدائق المجاورة لها وانطلق .

وبعد سنة توفي سيف الدولة امير حلب بداء الحصاة وتوفي كذلك معزّ

الدولة امير بغداد بدلا. الاسهال وخلفه ابنه عزّ الدولة. وفي السنة ٣٥٦ للعرب عينها (٩٦٦ م) انقضّ ابو تغلب على ابيه ناصر الدولة امير الموصل وهو راقد في فراشه وبعث فحبسه في قلعة كواشي . واقام رجلًا كرديًا ورجلًا ثانياً كان قد طرده الناصر غير مرّة ليحرساه ويكتبا عنه كلّ الاخبار . وعندما كان يستخبرهما (١٩٠) عن اولاده وعن ابنه الكبير الذي حبسه كانا يقولان له: هل تريد طعاماً ام شراباً ؟ لا تطالبنا باكثر من هذا. قيل انه لما كان يوماً يتمشى معهما على الجسر انتبه وتقرّش في دجلة وقال لهما: هل تنويان ان تغرّقاني ؟ قالا له: كلّا بل سننقلك الى قلعة كواشي. فقال لهما: كنتُ انوي ان احبس فيها ابني فسبقني. وقرّر ابو تغلب ان يؤدّي ما كان يؤدّيه ابوه من الخراج لبغداد. وحالفه عزّالدولة امير بغداد. وتولّى ابنه ابو المعالي مكان سيف الدولة امير حلب وحمص .

وفي السنة ١٢٧٩ لليونان ( ٩٦٨م ) وهي السنة ٣٥٧ للعرب زحف فريق من الخراسانيّين في ثلاثة آلاف من عرب انطاكية الى قبدوقية فلاقاهم اربعون الفاً من الروم وفتكوا بالكثيرين من الخراسانيّين والانطاكيّين وقبضوا على الكثيرين . فحرد الانطاكيون واجهزوا على بطريرك الخلقيدونيّين (الانطاكي) وقوّضوا اغلب كنائس انطاكية. ثم زحف الروم الى سروج وغنموا ثلاثمائة عربي وعدة وافرة من البهائم وارتحلوا. ومات ناصر الدولة في تلك السنة محبوساً في كواشي ونُقل الى تلّ التوبة تجاه الموصل وشيّعه اولاده جميعاً وهم حفاة ودفنوه هناك.

وفي هذه السنة عثروا لابي العلاء سليمان بن وهب بن سفيان الفقيه المسيحي البغدادي على ثلاثمائة وخمسين الف درهم عند احد الصيارفة وعلى اثني عشر الف خابية خمر في بيته فاستنزفوا منه مائة واربعين الفاً من الفضة وأغمضوا عنه.

واختلف الخراسانيون والعرب هذه السنة في انطاكية واقبل الروم وسبوا من ضواحيها اثني عشر الفاً من رجال ونساء وفتيان وفتيات .

وبعد سنة اعني السنة ١٢٨٠ لليونان ( ٩٦٩م ) وصل الروم الى كفرتوت وأجلوا ثمانمائة شخص في غنائم وافرة وساروا الى حمص وشاهدوها (١٩١) خالية من السكان فاضرموا فيها النيران وانصرفوا . وفي السنة عينها حدث غلاء في بغداد وبيع كور الحنطة بتسعين ديناراً . وظهر جراد كثير ببلد الموصل.

وما عتم ان زحف نيقيفور ملك الروم وحاصر انطاكية ثم سار الى طرسوس وأحرق كل ما في ضواحيها من الابنية . وتوجه الى قلعة غزة الحصينة واحتوى على شيء كثير مما فيها ثم اقبل وحلّ ما بين حمص وحلب واقام شهرين يغزو ويسبي دون ان يعارضه احد . وقد احصي من عنده من الاسرى فكانوا الفاً من فتيان وفتيات ولم يقبض على شيخ او عجوز بل قتل البعض وأبقى على البعض الآخر . ولولا تفشي الوباء عسكرهُ لدوّخ حلب وانطاكية معاً . وكان ينوي التوجه الى اورشليم لكنه لم يتيسر له ذلك بسبب ما احاق بجنوده من الوهن والكلال بعد ما قتلوا من قتلوا وغنموا ما غنموا مما فاق حدّ الكثرة.

وفي السنة ١٢٨١ لليونان ( ٩٧٠م ) وهي السنة ٣٥٩ للعرب اتفق الروم سرًّا مع نصارى حصن لوقا المجاور لانطاكية فاشاروا عليهم ان يذهبوا الى انطاكية ويتظاهروا بانهم منهزمون من وجه الروم ويقيموا هناك ريثما يصل الجيش الرومي فيساعدوه على فتح المدينة. ولما تمّ لهم ذلك وصل اخو نيقيفور الملك بعد شهرين في أربعين الفاً وأحدقوا بالسور وساعدهم اهالي حصن لوقا من ناحية الجبل . فدخل الروم انطاكية وقتلوا فيها خلقاً كثيرًا ثم افرزوا الشيوخ والعجائز والصغار وخيّروهم في الرحيل الى حيث شاؤوا وابقوا على عشرين الفاً ونيّف من الشبان والشابات والفتيان ورحّلوهم الى بلاد الروم. ثم وجهوا عشرة آلاف فارس الى حلب وتطوّع الحلبيون بتأدية جزية معاومة للروم كل سنة . فاخذ الروم منهم ثمانية اشخاص بثابة ودائع وانصرفوا.

واشتهر في تلك الغضون الملك نيقيفور في حروبه شهرة واسعة ( ١٩٢ ) بحيث اجتلّ كل مدن قيليقية وانطاكية وسوريا وهابه العرب كافة . غير انه أعجب بنفسه واقترن بتوفانة الملكة ارملة الملك روماني على كره منها . ولم يكتفِ بذلك بل حاول ان يخصي ابنيها باسيل وقسطنطين ليقضي على ذريتهما ويتسلسل ملوك الروم من ذريته. وما ان وقفت توفانة على دخيلته حتى فاضت احشاؤها على ابنيها فعقدت مؤامرة مع شومشكين الدمستق سرًّا وادخلته بزيّ النساء مع فريق من الابطال الى كنيسة البلاط ليلة عيد الميلاد الخلاصيّ . ثم اخبرت نيقيفور انها استدعت النساء صواحبها ليقضين عندها تلك الليلة في

الكنيسة لتتسلّى معينٌ . ولما استيقنت انه غرق في نومه فتحت الباب لشومشكين واصحابه فدخلوا وفتكوا به في فراشه وقضوا كذلك على حياة سبعين رجلًا او اكثر من حرّاسه . هذا ما رواه المؤرخون الاثبات . اما ما ذكره المغبوط البطريرك ميخائيل نقلًا عن تاريخ اغناطيوس مطران ملطية وهو انها قتلته لانه لم يدمن مضاجعتها فلا صحة له . والبرهان ان توفائة بعد قتل نيقيفور لم تقترن بشومشكين الذي قتله ولا بغيره .

وفي السنة ٣٦٠ للعرب ( ٩٧٠ م ) صُودِف رجلان عربيان مقتولان ليلًا في المسجد المجاور لدير رهبان مار ميخائيل النساطرة بالموصل . فاستنزف ابو تغلب بن ناصر الدولة بسبب ذلك مائة وعشرين الف درهم من النصارى .

وفي السنة ٣٦٢ للعرب ( ٩٧٢ م ) زحف الدمستق في جيشه الى نصيبين وقتل خلقًا كثيرًا . وظل ٢٢ يومًا يسبي وينهب ويخرب . ولما عوّل على التوجه الى آمد كتب صاحبها هزرمرد الى ابي تغلب امير الموصل فسيّر اليه عساكر كثيرة مع اخيه وحاربوا الروم وتغلبوا عليهم . وقبضوا على الدمستق وأرساوه أسيرًا (١٩٣) الى الموصل وانهزم اصحابه الروم . وقد ابدى ابو تغلب للدمستق عطفًا جزيلًا رغبةً منه في توطيد الحبّ مع الروم . غير ان دسيسة خبيثة تفشت فيه وقضت على حياته .

ولما بلغ اهالي بغداد ما حلّ بنصيبين من السبي والقتل هاجوا وماجوا وثاروا على الخليفة المطيع وجعلوا يستهزئون به بسبب تغاضيه عن المكافحة في سبيل العرب واطلقوا السهام في داره وعلى عبيده . وسار بعض الاعيان المشاهير الى الكوفة يريدون الامير عز الدولة والحّوا عليه كي يجهز العسكر ويوجّههم ليحاربوا الروم .

وفي السنة ٣٦٣ للعرب (٩٧٣م) أصيب الخليفة المطيع بداء الفالج وثقل لسانه وتعذّرت عليه الحركة . فاضطره سبكتكين احد عظماء بغداد ان يخلع نفسه ويبايع ابنه الطائع بالخلافة .

وفي هذه السنة مات الطبيب ثابت بن سنان بن ثابت الحرّاني الصابئ وخلف تاريخًا معتبرًا بدوّه منذ السنة مائتين وتسعين للعرب حتى آخر ايامه . ولولا تاريخه هذا لأمست اغلب اخبار ملوكهم طيّ النسيان . فهو الذي حفظها وعنه نقل المؤرخون من بعده .

( له صلة )